إلى القارئ

لا يزال اهتمام رجال الفكر والادب في هذه البلاد متجها الى دور المثقف في المجتمعات النامية ، بعد الندوة التي انتظمت في هذا الصدد بنادى « ابو القاسم الشابي » خلال شهر رمضان المنصرم .

وقد ابى السيد رئيس الجمهورية الا أن يدعو المشاركين في حلقات هذه الندوة الثلاث ويتحادث بل ويتناقش معهم في جملة من القضايا الفكرية التي تفرض نفسها على « النخبة » ، خاصة في تونس .

وكان فخامة الرئيس بين اخوانه وابنائه المثقفين ، رمزا حيا للالتزام في أشرف قيمه وأقدس مقوماته ، ومثالا بليغا للمتثقف يقف حياته على خدمة قومه ويضحي بقشور السعادة في سبيل الجوهر واستحقاقا لشرف الفكر الاصيل .

فهو كمثقف تبين سلم القيم الصحيح و « ادرك » العالم الذى حوله ورسالته فيه ، وتاق بكليته — قولا وفعلا — الى تحقيق « المجتمع الجديد » بكل جوارحه ، لم تثنه العقبات والآلام وضروب الحرمان ، ولم يزده ازورار « أشباه المثقفين » وشكوكهم وتخيلاتهم الا ايمانا وعزيمة ! وما زال يكافح الشر ويكافح اليأس حتى فرض على « الواقع » بالاعتماد على الشعب ، نظرته وقده على قد تلك المثل العليا التي أدركها بفضل ثقافته وربط بها مصيره وسعادته .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

وان « الحبيب بورقيبة » كزعيم للثقافة وكمثال حي لما يجب أن يكون عليه كفاح المثقفين يجب أن يلهم مثقفينا ورجال الفكر في بلادنا فيسعوا الى ان يكونوا — مثله — شجاعة على ادراك الحق وشجاعة على قول الحق ، وأن يحرصوا — مثله — على أن يكون سلوكهم منسجما مع أفكارهم وأن يتقمصوا شخصية المثقف في المجتمع الذى يحتاج الى نور يهديه ورائد يعبد له طريقه في الحياة

واذا كان كفاح تونس اليوم لا يقتضي المغامرة بالحياة وتحمل المنافي والحرمان فانه ليس بأسهل ولا بأقل عناء .

تونس اليوم تجاهد الجهاد الاكبر من أجل القضاء على بقايا التخلف ورواسب عصور الانحطاط فليقبل المتثقفون على القيام بواجباتهم وليكونوا في مقدمة الشعب ومع الشعب اذ المصير واحد والتاريخ لا يرحم .

لقد تحمل الحبيب بورقيبة منذ أكثر من ثلاثين سنة أعباء كل المتثقفين واضطلع بالرسالة المقدسة ، فلا أقل من أن يتحمل كل المثقفين اليوم بعض « أعباء » الحبيب بورقيبة .

الفكر

ويسألـــــونك...

بقلم : البشير المجذوب

كثيرا ما نتساءل عن الروح التونسي أهو حقيقة كائنة ذات معلم يبين بها عن غيره وان اكتنفه الغموض وتجللته الاسرار ، أم هو محض وهم ، صورة ابتدعها الخيال في لحظة من لحظات عبثه ، دمية من دمى الفكر يصنعها لنفسه ثم يخدع بها فتنة وغرورا ؟

هذا الروح ماذا عساه أن يكون ؟ أله صلة بالاشكال والخطوط والالوان أم هو شيء باطني نحس به ماثلا في النفس احساسا عميقا وان كنا لا نتبينه ؟

أهو شيء بسيط محدود ، أم كائن شائع مشترك يلتبس بعـدة أشيـاء ويتحد .. كالهواء نلفيه في كل مكان ، ولا يختص به مكان ، ثم هو يتكون ويتشكل ويتنوع ولا يستحيل ولا يفقد طبيعته الاولى وجوهره الاصيل ،

أو كميزة الشخصية الطريفة القوية مهما تباينت وتقلبت أحوالهـا ، فان أبسط حركة وسكنة من حركاتها وسكناتها موسومة بصبغة خاصة تميزها عن غيرها !؟

الروح .. كلمة تتردد كثيرا على الالسن ولا تجهد الاذهان في تحديدهـا وجمع شتات عناصرها وتأليف مقوماتها ومع ذلك ... فهل هي من الخفـاء والغموض والامتناع الى الحد الذي قد نتوهم ؟

« هذا الروح الذي قد نحار في أمره ونلج في تحسسه والتماسه لعله أقرب الينا مما نظن ؟ فقد تجده صدفـة ، محض اتفـاق ، وأنت في ساعـة تحفز احساسك وتفتحه وانبثاقه اذ يطالعك بارقا خاطفا من وجه امرأة ناضجة .. وجه شهي عليه مسحة رقيقة من فتور كئيب يزيده رونقا وبهاء ، رقة ووقارا، فهي الانوثة البالغة المكتملة الخالدة ... أو من ابتسامـة فتاة أرقها الـدلال تملأك بشرا وصفاء وخفة ومراحا ، فهي الانوثة البرعم والظرف الوليد .

وليس هذا الروح وقفا على الوجوه والشمائل فحسب ، ولا منحصرا في الزى والاثاث وأصناف المتاع والرياش كل على انفراد ، وانما يتوفر ويخصب ويشيع ويمتد فاذا هو جو كامل يشمل حيا برمته ، أو بلدة بأجمعها تركـز فيها هذا الروح وتجمع فكأنه لها سمة وعنوان .

وهذا شأن « جبل المنار » فاذا كنت من رواد هـذا الجـو وعشاقه فيمـم شطر هذه القرية وحج اليها فان أول ما يروعك ويستخف طربك حيثما تلفت

وتوجهت البياض والزرقة ... البياض والزرقة منسجمين أرشق انسجام على الابواب والجدران .

هذه الثنائية الظريفة العجيبة ، هذه الخاصة التقليدية العريقة المميزة لذوق الشعب ، انها لسيت ثمرة الصدفة والارتجال بل قد تنخلتها الايام وأثبتتها العصور .

نعم البياض والزرقة منسجمين أيضا فى البحر والسماء .. زرقة السماء الابدية وفضة الاشعة المنعكسة على المياة الوهاجة فكأن هذا من ذلك ، وهو له رمز وصورة ومثال .

الآن وقد ارعيت نظرك سحر الالوان ، ورويت نفسك من بشاشتها واشراقها ، الآن فمل الى شوارع القرية وتوغل فيها صاعدا هابطا واندس فى الازقة وتسمع الاصوات المنبعثة منها ، كل الاصوات أيا كانت ، الجهورى منها والرقيق ، الساخط منها والراضى ، الفتى والعجوز . نغمة واحدة ، نغمة واحدة أصيلة تنتظم كل هذا الشتات ، لهجة واحدة تصافح أذنك ولا تنى تداعب وتطرف سمعك وتتردد فى أرجاء نفسك أصداء بعيدة قريبة ، غامضة جلية ، محببة حلوة ، وأنت تنزل درجات هذه الربوة السامقة تائها فى منعرجاتها وزواياها المليئة سرا وخفاء ، وبهجة واغراء .

هنا يكمن الروح ملوحا اليك فى صمته البليغ ، هنا موطنه ومسرحه ومغناه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولا يفوتك وأنت فى هذه النشوة الحالمة أن تتشمم ملء خياشيمك روائح الاطعمة المتسللة من الابواب المفتوحة أو المنفرجة فتجد لها نكهة لذيذة نفاذة تباشر ذوقك فى الحين وتغمرك وتغمسك فى جوك الذى أنت فيه ، فتوقن عندئذ أن كل ما خصت به هذه الارض الفتية العجوز روعة تخاطب الحس والقلب معا .

ولا تحسبن هذا الروح ملكا للحضر غير مشاع ، فمهما بلغت خشونة رجل الريف أو البدوى ، ومهما تجد عندهما من غلظة وجفاء ، فانه لا يعييك أن تستنشق وراء القشر والشكل من الظرف وخفة الروح عين ما تلحظه عند الحضر . تلمح ذلك فى دعابة أهل الريف الفكهة وحكمتهم الرصينة الباسمة وتطلع قلوبهم الى الحياة فى شغف وثقة وتفاؤل على الرغم مما قد يحيق بهم من خصاصة وبؤس .

انه الروح الطلق المبتسم المتفتح الى النور ... سواء تجسد فكرا أو غناء أو رقصا .

انها نفس النظرة الى الحياة . وما الحياة ؟ فرصة عبقرية المثال ، روضة رائعة الجمال وانها لكذلك مهما حف بها ، ولما حف من مكاره ومآس وأهوال

البشير المجدوب

« اخــــــــى »

شعر : عبد المجيد بن جلو

أخِي حَيِّ ذِكرى الكِفَاحِ مَعِي وَقُمْ مُنْشِداً
أخِي قُلْ وَرَدِّدْ عَلى مَسْمَعِي نَشِيد الفِدَا

فَهَلْ كَانَ يَوْمُ جَلاءِ الاعَادِي
سِوَى مَا أَرَدَاهُ يَوْمَ الجِلادِ

بِسَاحِ الرَّدى
فَمَا زَلَ مِنْ صَوْتِهِ فِي البِلادِ
صَدَى وَصَدَى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فَمَا زَالَ مِنْ صَوْتِهِ الابَدِيِّ وَمِنْ لَحْنِهِ الخَالِدِ السَّرْمَدِيِّ
وَمِنْ وِرْدِهِ العَبْقَرِيِّ الصَّدِيِّ نَشِيدٌ تَلوْنَاهُ عِنْدَ الحُدَاء
حُدَاءِ الجِهَادِ بِصَوْتٍ نَدِيِّ فَمَا كَانَ أَرْوَعَ ذَاكَ النِّدَاء

أخِي حَيِّ ذِكرَى الكِفَاحِ مَعِي وَقُمْ مُنْشِداً
أخِي قُلْ وَرَدِّدْ عَلى مَسْمَعِي نَشِيدَ الفِدَا

فَمَا زَالَ مِنْهُ بِخُضْرِ التِّلالِ وَأَقْصَى الجَنُوبِ وَأَقْصَى الشَّمَالِ
وَعَبْرَ السُّفُوحِ وَتِلكَ الجِبَالِ وَفِي رَبْعِنَا أَثَرٌ مِنْ دِمَا
يُعِيرُ الثَّرَى مِنْهُ خُضْرَ الدَّوَالي فَتُمْسِي عَنَاقِيدُهَا عَنْدَمَا

أخِي حَيّ يَوْمَ الكِفَاحِ مَعِي   وَقُمْ مُنْشِداً
أخِي قُلْ وَرَدّدْ عَلى مَسْمَعِي   نَشِيدَ الفِداً

وَرَدْنَا المَعَارِكَ عَامًا فَعَامَا   وَكُنَّا بِهَا الْكَلِفَ المُسْتَهَامَا
وَمَا أحَدٌ يَسْتَلِذُّ الحِمَامَا   وَيَخْتَارُ قَبْلَ السَّلامِ العِدا
فَلَمْ نَبْغِ بِالحَرْبِ الا السَّلامَا   وَنَسْلُكُ بِهَا غَيْرَ سُبُلِ الهدى

أخِي حَيّ يَوْمَ الكِفَاحِ مَعِي   وَقُمْ مُنْشِداً
أخِي قُلْ وَرَدّدْ عَلى مَسْمَعِي   نَشِيدَ الفِداً

فَلا نَحْنُ نَطْلُبُ غَيْرَ السَّلامِ   مِنَ الحَرْبِ.لارَغْبَةً فِي الخِصَام
وَسَفْكِ الدّمَاءِ وَهَتك الذّمَامِ   كَذَلِكَ كُنَّا مِنَ المُبْتَدا
فَلا شيْءَ يَعْدِلُ عَيْش الوِئَامِ   وَأنْ يَعْضُدَ السَّيِدُ السَّيِدا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أخِي حَيّ يَوْمَ الكِفَاحِ مَعِي   وَقُمْ مُنْشِداً
أخِي قُلْ وَرَدّدْ عَلى مَسْمَعِي   نَشِيدَ الفِداً

ع. ب. ج

انتظـروا

عـددا خـاصـا بالشعـر

تزايد السكان وتنظيم العائلة

بقلم : الدكتور عبد المجيد رزق الله

منذ أن بحث « مالتوس » العلاقة بين الانتاج وعدد السكان وأثرها في المعيشة وخرج من بحثه بنظريته المشهورة الداعية الى تحديد النسل حتى لا ينخرم التوازن ويعم الجوع والفقر المعمورة أصبح موضوع تزايد النسل يشغل بال علماء الديموغرافيا (علم السكان) وعلماء الاقتصاد على حد السواء ·

ومعلوم انه قد تولدت عن هذا الاهتمام المتزايد نظريتان :

الاولى تدعو الى تحديد النسل باعتباره ضرورة اقتصادية ·

والثانية لا ترى مشكلا في الموضوع أو بالاحرى ترى الحل في التعجيل بالتنمية الاقتصادية ·

ويعلل أصحاب هذه النظرية الاخيرة رأيهم بما يلاحظ من أن تحسين حال العائلة بالتعليم من جهة ، وارتفاع مستوى العيش من جهة اخرى ، يصحبه دائما أو يليه تناقص ملحوظ في عدد الاولاد ·

فهل بعد هذا اننا اسرى أحد الحلين ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

للاجابة على هذا السؤال لابد من وضع المشكل في اطاره الحقيقي اى اطار البلدان التي تقاسي وطأة التخلف وتسعى جهدها للسير في طريق النمو ·

ان الواقع في هذه البلدان ـ ومن ضمنها تونس ـ يمتاز من جملة ما يمتاز باختلال التوازن بين عدد السكان من جهة والنمو الاقتصادي من جهة أخرى ·

فبينما يتضخم عدد السكان بطريقة مستمرة وبكيفية مهولة يشاهد ان الانتاج لم ينم كثيرا ، وفي هذا الصدد يقول « الفراد سوفي » : « ان البلدان التي تستهدف أكثر من غيرها الى ضغط تضخم عدد السكان هي في آن واحد تلك التي تعاني شدة الفقر ، فالفقر والتناسل متلازمان وهما مظهران لوضع واحد وهو عدم التحكم في الطبيعة وهذا ما يعرف أيضا بالتخلف ·

وازاء هذا الواقع كيف يكون العمل حينئذ ؟ وما هي الغاية التي يجب ان نرمي اليها والسبل التي يتحتم علينا توخيها ؟

المهم هو أن يتناسب عدد الاولاد والسكان مع الانتاج · والمهم أيضا هو أن تتماشى الزيادة في الاولاد والسكان مع استغلال الامكانيات وتوافر الموارد ·

وكل هذا لا يمكن أن يتحقق بترك الحبل على الغارب وبترك الامور تجرى على أعنتها ثم للطبيعة أن تنظمها كيف تشاء ، ولن يتحقق بترك المشاكل للزمن والظروف والتطور الذى قد ينقص من تزايد النسل بموجب تحسن حال العائلة وارتفاع مستواها كما يرى البعض ، فنحن « نعجن فى طاجين مقعور » كما يقول العوام اذ لا يمكن أن يتحسن حال مجتمعنا ما دامت الزيادة فى الولادات تفوق الامكانيات من مأكل وملبس ومسكن ،ونحن أمام سباق مهول أمام تزايد النسل من جهة ومجهودنا لايجاد الشغل وتوفير الانتاج للاجيال الصاعدة من جهة أخرى ، ومن الواضح فى هذا السياق ان النسل يجرى بسرعة أكثر من سرعة التقدم الاقتصادى والاجتماعى فى الوقت الحاضر ۰

ولكل تلك الاسباب يجب تقديم الحل للسيطرة على الموقف بكل عزم وحزم

وتقديم الحل ليس فى الاختيار بين نظرية « مالتوس » الداعية الى تحديد النسل دون سواه والنظرية المعاكسة التى ترفض هذا التحديد برمته ولا تقول الا بالتعجيل بالتنمية الاقتصادية بل فى الجمع بين الطريقتين ۰

فبعد ما انتهجنا طريقة التخطيط الاقتصادى ها نحن قد بدأنا فى انتهاج التخطيط العائلى باعتباره متمما للاول وهذا ما يراه الان معظم علماء الديموغرافيا الذين أصبحوا يدعون الى الجمع بين الحلين ويؤكدون ان هذا الامر ليس بالعسير ۰

والتجربة التى شاهدها العالم فى اليابان مثلا تؤكد وجهة النظر هذه فالاحصائيات الاخيرة تدل على انخفاض كبير فى معدل الولادات ، كما ان معدل الزيادات فى الاستثمارات وفى الانتاج تؤكد ضرورة وامكان الجمع بين الحلين ۰

وليس لتنظيم النسل فوائد **اقتصادية** عامة فحسب بل له أيضا فوائد **اجتماعية** لتوازن العائلة وسعادتها وفوائد **صحية** للام والطفل على حد السواء

وان تنظيم النسل عن طريق **منع الحمل** هو الوسيلة التى يجب توخيها حتى لا يقع الاضطرار الى الاجهاض لما له من أخطار على الام ۰

ـ الحالة العمرانية فى تونس : ضغط بشرى وتخلف :

ان تونس من أكثر بلدان العالم تناسلا وهى الى جانب ذلك تعانى وطأة التخلف بما يحتوى عليه هذا اللفظ من معان ومظاهر مشينة ۰

وتعد البلاد التونسية حسب الاحصائيات الاخيرة فى سنة 1956 ـ 265 943 3 ساكنا ۰ ومن المتوقع أن يتطور هذا العدد حسب الارقام التالية:

ـ 000 431 4 ساكنا فى سنة 1966

ـ 400 724 4 ساكنا فى سنة 1971

وان معدل الزيادة هو بنسبة 2،2 فى المائة سنويا وهذه نسبة من أقوى النسب فى العالم .

وترجع اسباب الزيادة الى تقدم الطب وما يتبعه من التغلب على معظم الاوبئة والجراثيم الفتاكة وخاصة منذ اختراع المواد المبيدة للجراثيم والحشرات « كالسلفاميد » و « الانتيبيوتيك » و « الددت » ومواد التلقيح ضد الامراض المعدية وتحسين وسائل حفظ الصحة .

وقد نتج عن ذلك كله انخفاض فى الوفايات وخاصة بين الاطفال . فبينما كانت نسبة هذه الوفايات حوالى 35 فى الالف قبل الحرب العالمية الثانية نزلت هذه النسبة الى حوالى 12 فى الف فى سنة 1960 ـ والملاحظ فى هذا الشأن أن عدد الاطفال عند الطبقات الكادحة والعائلات الفقيرة هو بمعدل ستة اولاد بينما هو أقل من ذلك عند العائلات المترفهة اذ يصل الى اربعة اولاد فقط .

وقد نتج عن هذا الانخفاض فى الوفايات بين الاطفال تزايد السكان حسب الاعمار كما يلى :

ـ من يوم الى 4 سنوات : 17 فى المائة

ـ من 5 سنوات الى 20 سنة : 33،7 فى المائة

ـ من 20 سنة الى 60 سنة : 42،7 فى المائة

ـ من 60 سنة فما فوق : 6،6 فى المائة

وذلك يعنى ان حوالى 50 فى المائة من مجموع سكان البلاد التونسية هم الشبان الذين لا يتجاوز عمرهم 20 سنة .

وان كان ذلك يبعث على التفاؤل بالمستقبل اذ أن هؤلاء الشبان طاقة خلاقة فان سيلهم يزيد فى عبء المسؤولية لانهم لا يساهمون فى الانتاج ويثقلون كاهل عائلاتهم وحتى كاهل الدولة من حيث تعليمهم فى الوقت الحاضر وتشغيلهم فى المستقبل .

ويتوزع السكان حسب نوع نشاطهم الى 73 فى المائة يشتغلون فى الفلاحة و 27 فى المائة يتوزعون على مناطق النشاط الصناعى والتجارى .

أما التوزيع من حيث الاصناف الاجتماعية الاخرى فهو كما يلى :

ـ 26،2 فى المائة عملة مستقلون

ـ 36 فى المائة معاونون فى العائلات

ـ 37،8 اجراء من بينهم 3/4 من العملة غير المتخصصين وهى ميزة البلدان المتغلبة فيها الصناعات اليدوية والمشاريع الصغرى .

وقد نتج عن ذلك كله ضعف مستوى المعيشة بما فيه من تغذية وصحة ومسكن وبطالة وهو ما يعرف بالتخلف .

والتخلف نفسه نتيجة لاختلال في التوازن لا فحسب بين القطاعات الاقتصادية ... والقطاعات الجغرافية .. بل ايضا بين الموارد وبين عدد السكان .

مقاومة التخلف بالتخطيط الاقتصادي والاجتماعي .. والتخطيط العائلي ايضا :

من أهم مظاهر التخلف واسبابه في البلاد التونسية اختلال التوازن بين عدد السكان وبين الموارد . فبينما يتزايد السكان بالنسبة المذكورة سابقا لا يزداد الدخل القومي بنسبة ملائمة .

ويقتضي تزايد السكان تغذية واكساء ومعالجة وتعليم ما بين 70 و 80 الف نسمة جديدة كل سنة . كما يقتضي أيضا تشغيل 28 الف عامل بالاضافة الى البطالة الحالية .

وأمام هذه الحالة وقع اتباع سياسة التخطيط والعدالة الاجتماعية بغية تحقيق الاشتراكية . ضبط المخطط العشري أهدافا واضحة وحدد لبلوغها آجالا معينة ...

الا ان نسبة تزايد عدد السكان الحالية التي لا تتماشى مع المجهود لتوفير الواردات سوف تمكن من بلوغ الاهداف المنشودة . فأقصى ما يمكن انتظاره والحالة تلك هو استقرار مستوى المعيشة على ما هو عليه الان من ضعف .

ولذا فان مقاومة التخلف سوف لا تتحقق بالمخطط فحسب اذ لا يمكن رفع مستوى المعيشة مع استمرار الحال على ما هي عليه وترك مشاكل السكان للطبيعة والزمن والظروف ولا يمكن أن يزداد الدخل الفردي اذا استمر تكاثر السكان وتضاعفهم .

فقد اصبح من الواجب ـ بجانب المخطط الذي آلت الحكومة والحزب والشعب على تحقيقه أصبح من الواجب أيضا « تخطيط العائلة » .

ولا يتسنى ذلك الا بتنظيم النسل .

تنظيم العائلة وفوائده :

ان تنظيم العائلة ـ أي السيطرة على الطبيعة كما يقول «الفراد سوفي» ـ الذي يحتمه الخروج من التخلف ورفع المستوى له فوائد اقتصادية واجتماعية وصحية في آن واحد .

فمن الناحية الاقتصادية هناك التأثير على الاقتصاد العام بتحقيق التوازن بين تزايد السكان وتوفير وسائل العيش كما ذكر سابقا .

فتنظيم النسل لن يعوق أى توسع فى الانتاج بل بالعكس من ذلك فهو يؤدى الى زيادة انتاج الفرد اذ يصحبه تحسن فى الصحة وفى قوة الافراد وطول العمر بحيث يستطيع الشخص أن يؤدى فى حياته من الجهود أكثر ما كان يفعل فى صورة ما اذا كانت التغذية ناقصة والعمر قصيرا ٠ وتنظيم النسل يعمل على زيادة من هم فى سن العمل والانتاج بالنسبة الى ما هى عليه الآن (50 فى المائة اقل من 20 سنة) ٠ وهناك أيضا التأثير على امكانيات العائلة نفسها ٠

وفى هذا الصدد يقول المجاهد الاكبر الحبيب بورقيبة :

« لسنا نروم توقيف النسل بل الذى نرومه هو تحكيم الفكر وتقدير ذات اليد تقديرا صحيحا قبل الاقدام على مسؤولية انجاب البنين » ٠

فتنظيم النسل يخفف وطأة كثرة الاولاد على الأبوين لما يتطلبونه من مأكل وملبس وتربية ٠ وتنظيم النسل يوفر لهما أموالا يمكن استعمالها للرفع من مستوى معيشة العائلة ٠

ومن الناحية الاجتماعية فان تنظيم النسل يتيح الفرصة لرعاية الاطفال والعناية بهم ٠

ومن الواضح ان هاته العناية تصعب بقدر ما يزداد عدد الاولاد ٠ فينتج عنها اهمال لما يتبعه من تفشى الامراض بانواعها وخاصة أمراض نقص التغذية وسوئها وكذلك عدم احترام مبادىء حفظ الصحة فتنتشر الاوبئة ٠

http://Archivebeta.Sakhrit.com

ونتيجة لزيادة الاعباء على الازواج هناك انهيار فى العائلة من حيث الارتباط بين الافراد مما ينعكس أثره على حياة المجتمع فى التعاسة والمشاجرة وتشريد الاطفال ٠

ومن الناحية الصحية هناك أخطار تهدد الام اذ الحالة الصحية للمرأة التى تقاسى التعب وسوء التغذية فى الاوساط الشعبية تزداد تعكرا بموجب تمدد الولادات ـ ويتسبب عدد الولادات هذا فى انتشار أمراض فقر الدم Anemie ولين العظام Ostéomalacie وغيرها من الامراض ٠ وهذه الامراض نفسها تجعل بدن المرأة عرضة لاتفه هجوم تقوم به الجراثيم على جسمها وهى أضعف من أن تقاوم الجراثيم ولا مناعة تحميها من فتكها بها ٠ واكثر من ذلك فان المرأة التى تتكاثر لديها الولادات مهددة فى حياتها بالذات عند وضع الحمل ـ والوفايات تكثر نتيجة النزيف أو خرق الرحم الذى يصيب المرأة من جراء تعدد حالات الحمل المتوالية ٠

يضاف الى ذلك كله حالات نفسانية خطيرة فالزوجة التى تئن تحت المسؤوليات الثقيلة التى تنتج عن كثرة الولادات يخالج شعورها النفسانى قلق واضطراب عند كل اقتراب جنسى وينتهى بها الامر الى أن تفقد كل

طمأنينة وراحة من جراء المباشرة ومن ثم تفتر العلاقة الزوجية ويختل التضامن بين الزوجين . وقد يصاب الرجل بالعنت ازاء زوجته بالذات ويسعى لاشباع شهوته بعيدا عنها وفي هذا بدء تدهور العائلة .

وهناك أخطار تهدد الطفل الذي ليس هو أسعد حظا من أمه اذا تكرر الحمل وتلاحقت الولادات . فقد يولد ميتا .. وان لم يولد ميتا يقع وضعه دون التسعة اشهر بما ينتج عن ذلك من صعوبات جسام في تربيته والعناية به وحمايته من الاخطار التي تهدد حياته ... وان لم يكن كذلك فقد يولد ناقصا أو مشوه الخلقة .

فهل بقي بعد كل ذلك من شك في ضرورة تنظيم العائلة ؟

تنظيم العائلة بالوقاية من الحمل :

اننا في تونس المتخلفة اليوم وخاصة في العائلات التي لها مستوى من العيش الضعيف ، في حاجة الى الوقاية من الحمل والتوسع في نطاق هذه الوقاية قبل بلوغ المستوى المادي الاقتصادي والفكري الذي يسهل علينا استعمال الوسائل والمواد الواقية من الحمل .

وان الوقاية من الحمل يمكن الحصول عليها قبل أن يمكننا من ذلك النمو الاقتصادي الحالي .

وما من شك في انه قد تحصل من ذلك فوائد جمة وخاصة ان المشاكل الاقتصادية قد تخف وطأتها ويسهل حلها .

وكيف يتسنى لنا ذلك ؟

هناك مبدأ أول لابد من العودة اليه والالحاح فيه هو أن « الوقاية خير من العلاج » وهي أنجع وأفضل بكثير من الاجهاض الذي لا يقره العقل ولا تقره الاخلاق ولا تقره الانسانية .

وهناك مبدأ ثان تفرضه نفسية العائلة وتوازنها . وهذا المبدأ هو أن يكون منع الحمل مؤقتاً لا نهائيا . هو أن نرمي الى تحديد النسل غالبا لا قطعه بتاتا هو أن نرمي الى التحكم في النسل ومنع الحمل متى شئنا وتحقيقه متى شئنا . هو أن نرمي الى تنظيم النسل ليس الا ...

وهناك مبدأ ثالث وهو الوصول الى استعمال طرق تتوفر فيها الشروط التاليـــة :

أولا ــ ان تكون غير مضرة بالبدن ولا بالنفس .

ثانيا ــ ان تكون سهلة الاستعمال وفي متناول الجميع .

وفى هذا الشأن هناك الوسائل الطبيعية وخاصة منها طريقة « اوجينو » Ogino التى تعتمد على مدة الخصوبة واللقاح أثنـاء دورة الحيض وهنـاك الغسل ·· وهناك الوسائل الميكانيكية المادية ·· وهناك الوسائل الكيمياوية البيولوجية التى تمكن من الحصول على العقم الموقت حسب ارادة الزوجين التى هى أهم من كل شىء ··· وهنـاك قبل كل شىء الدعايـة والتوجيـه والارشـــاد ·

يجب اشعار الزوجة والزوج فى آن واحد بخطورة التـواكل وبثقـل عبء كثرة الاولاد على العائلة وعلى المجتمع على حد السواء ·

ويجب اعانة المرأة الواعية باخطار تكاثر الولادات والواعية بثقل مسؤولية تربيتهم على التنقيص من الولادات والتخفيف من وطأة كثرة الاطفال ·

وبعد فان هذه الحملة الدعائية ـ ولو انها ضرورية ويجب المبادرة بهـا ـ فهى فى حد ذاتها غير كافية · بل يجب اتمامها بوسيلتين اخريين :

أولا ـ اختيار وسائل غير مضرة وأدوية ناجعة ·

ثانيا ـ جعل هذه الوسائل والادوية المضادة للحمل فى متناول الجميع ·

وختاما فان تنظيم النسل الذى يحتمه الاقتصاد والاجتماع والصحة يمكن الوصول اليه فى نطاق رعاية الام والطفل · وان القانون الذى صادق عليـه مجلس الامة فى 5 ـ I ـ 1962 هو خطوة حاسمة فى سبيل تنظيم النسل · ولكن يجب مراعاة الطبقات الشعبية أولا وبالذات فى تحقيق فوائد وأغراض القانون وذلك بالتوجيه الواسع النطاق وبالاثمان البخسة للادوية او الوسائل الاخرى التى يقع اختيارها لنجاعتها ولعدم مضرتها فى آن واحد ·

وسوف يحقق برنامج الحكومة المقبل كل هذه الغايات التى ستساعد عـلى بناء مجتمعنا الافضل ·

الدكتور عبد المجيد رزق الله

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ظل من الامس

شعر : محمد مزهود القيرواني

بَاتَتْ لوَاعِجُهُ تَهِيجُ شُجُونَهُ
وَتُذِيعُ مِنْ سِرِّ الهَوَى مَكنُونَهُ
وَتَبُثُّ مَا صَنَعَ الجَوَى بِفُؤادِه
شِعْرا يُضَرِّجُ بِالأنِينِ لُحُونَهُ
مَا عَاوَدَتْهُ ذِكرَيَاتُ شبَابِه
إلا أثَارَتْ شَجْوَهُ وَحَنِينَهُ
أيَّامَ كانَتْ تَسْتَبِيهِ مَلاعِبٌ
مَا إنْ حَوَتْ إلا الصِّبَا وَشُؤونَهُ
كانَتْ مَرَاتِعَهُ وَمَنْبَعَ وَحْيِهِ
وَمَشَارَ مَا شَاءَ الهَوَى تَزْيِينَهُ
رَاقَ الزَّمَانُ بِهَا وَفَجَّرَ مَوْرِداً
مَا كدَّرَتْ غِيَرُ الحَيَاةِ مَعِينَهُ
قَدْ عَاشهَا دُنْيَا جلَتْ أسْرَارَهُ
مُنْذُ اسْتَبَانَتْ شكَّهُ وَيَقِينَهُ
دُنْيَا مُفَوَّفَةُ الرُؤَى مَا فَتَّحَتْ
إلا عَلَى المُغْرِي البَدِيعِ عُيُونَهُ
زَخْرَتْ بِهَا الآمَالُ وَائتَلَقَ الرِّضَى
نُوراً يُشِعُّ عَلَى الوُجُودِ مُبِينَهُ
دُنْيَا مِنَ الاحْلامِ آذَنَ صُبْحُهَا
بِزَوَالِهَا. يَا صُبْحَهَا وَفُتُونَهُ

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

صَبَغَ الجَمَالُ بِسِحْرِهِ آفَاقَهَا
وَعَلَى مَجَالِيهَا أَمَرَّ يَمِينَهُ
وَبِهَا نَمَا حُبِّي وَأَوْرَقَ غُصْنُهُ
فَنَزَهَا وَوَشَحَتِ المُنَى عُرْجُونَهُ
وَشَرِبْتُ نَخْبَ صَبَابَتِي كَأسَ الرِّضَى
وَحَفِظْتُ عَهْدا لمْ أكنْ لأخُونَهُ
لكِنَّهُ الدَّهْرُ اسْتَطَالَ وَمَالهُ
مِنْ دَافِعٍ إذْ يَنْتَضِي مَسْنُونَهُ
أنْحَى عَلَى أمَلِي وَمَا أبْقَى سِوَى
جُرْحٍ أكَابِدُ مَا حَيِيتُ ثَخِينَهُ
وَتَعُودُ بِي الذِّكْرَى لِمَاضِيَّ الذِي
أحْبَبْتُ فِيهِ وَقَارَهُ وَمُجُونَهُ
مَاضٍ تَوَارَى غَيْرَ أنَّ طُيُوفَهُ
بِالقَلْبِ مَا فَتِئَتْ تُثِيرُ كَمِينَهُ
أهْفُوا إليْهِ وَفِيهِ ألْمَحُ مُهْجَتِي
شَفَّافَةً إنْ أسْتَشِفْ غُضُونَهُ
مُدَّتْ لهُ أيْدِي العَفَاءِ وَأصْبَحَتْ
دُونِي تَحُولُ العَادِيَاتُ وَدُونَهُ
مِنْ قَبْلُ أيْنَعَ عَهْدُهُ يَالَيْتَهُ
لمْ يَهْصِرِ الزَّمَنُ العَنِيدُ غُصُونَهُ
السَّعْدُ بَرْعَمَ فِي جَوَانِبِ رَوْضِهِ
وَالانْسُ أوْدَعَ سِرَّهُ وَفُنُونَهُ
لمَّا تَزَلْ تَهْوِي إليْهِ مَشَاعِرٌ
زَكَتْهُ قَبْلُ وَبَارَكَتْ مَيْمُونَهُ

**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وَأفَقْتُ مِنْ إغْفَـاءَتِـي فَـوَجَدْتُنِي
لا أَسْتَبِينُ مِنَ الصَّبَـاحِ جَبِينَـهُ

أيَّـانَ مِـنِي مُجْتَـلَى أمْسِـي وَقَـدْ
أصْبَحْتُ مَكْلُومَ الفُـؤادِ حَـزِينَـهُ

الشَّـوْقُ يُـوقِـدُ فِي الضُّلُـوعِ ضِـرَامَهُ
وَالوَجْـدُ يُسْعِـرُ فِي الحَشَـى أتُـونَـهُ

وَاليَأسُ يَأكُـلُ مُهْجَتِي وَيَهُـبُّ إعْـ
ـصَاراً يُهَـدِّمُ مَا بَنَيْـتُ حُصُـونَـهُ

وَالكَأسُ بَيْنَ يَـدَيَّ تَشْرَبُ لَوْعَتِـي
وَاللَّيْـلُ يَنْشُـرُ فِي مَدَايَ سُكُـونَـهُ

وَأنَـا الـذِي غَاضَتْ أمَـانِيهِ فَـلَمْ
يُطْبِـقْ عَلَى غَيْـرِ السَّرَابِ جُفُـونَـهُ

أمْسِي يُـرَدِّدُ مَـا حَيِيتُ لَـهُ صَدًى
فِي عُمْـقِ أعْمَـاقِي سَمِعْتُ رَنِينَـهُ

وَغَـدِي المُحَجَّبُ لَمْ يَـزَلْ فِي خَاطِرِ الْـ
أيَّـامِ سِـرًّا لا تُبِيحُ مَصُـونَـهُ

أُفْضِي إليْـهِ كأنَّنِـي مُتَـوَجِّـسٌ
خَـوْفاً يُسِيءُ بِمَـا يَـرَاهُ ظُنُـونَـهُ

يَخْشَى المَصِيرَ وَيَتَّقِيهِ عَـاصِفـاً
لا يَأمَـنُ السَّـارُونَ مِنْـهُ جُنُـونَـهُ

وَلَعَلَّمَـا الايَّـامُ تَغْمُـرُ بِالمُنَـى
عُمُـرِي فَتُخْصِبَ قَفْـرَهُ وَحُـزُونَـهُ

وَتُخَفِّـفُ البَلْـوَى وَتَشْـرَحُ صَدْرَ مَكْـ
ـلُومٍ لَـوَاعِجُـهُ تَهِيجُ شُجُـونَـهُ

محمد مزهود القيرواني

شعراء الجمال والحب في العربية

بقلم : محمد الهادي العامري

لقد أخطأ الذي وصف الادب العربي بأنه مجموعة امداح واهاج ومراث تقليدية ومطامع وشحاذة متلونة خلابة وانه أدب معدوي...

وكيف يصح هذا القول ومن شعراء الادب العربي طائفة لا يستهان بها قصرت أشعارها على الابتهال والتعبد في هيكل الحب وكرست أدبها على التسبيح بحمد جمال الطبيعة الفتان والتغريد بين أزهارها الفاتنة الرائعة كالبلبل الشادي الصداح في الرياض والغياض يحركه كل منظر من مناظر الطبيعة فيشدو ويسبيه الجمال فيترنح بين الكائنات الحية النابضة من حيث هي وينبعث الفينة بعد الفينة غريدا وثملا شان العندليب التائه بين الجمال والجلال. كيف لا، وأدب من شعرائه أبو الوليد بن حبيب الذي آل على نفسه في فتاء السن إلى أن توفي في سن مبكرة جدا وما أنافت على العشرين سنة إلا بعامين أن يقصر أشعاره على زهرة يناغيها أو منظر طبيعي يصفه أو دوحة يداعبها ويغازلها ولم يؤثر عنه شعر ولا نثر في غير الجمال والطبيعة حتى في الرسائل. فقد كتب لابيه ما يلي : لما خُلق الربيع من أخلاقك الغرّ وسرقَ زهْرَهُ من شيمك الزّهْر حَسُنَ في كل عين منْظَرُهُ وطاب في كل سمع خَبَرُه، وتاقت النفُوس إلى الراحة فيه ومَالت إلى الاشراف على بعض ما يحتويه من النور الذي بسط على الارض حللا لا ترى في أثنائهَا خللا سلوك نُثرتْ على الثرى وقد مُلئت مسكا وعنبرا ان تنسمْتَهَا فأرجَهُ أو توسمْتها فبَهْجَته

فالارض في بزة من يانع الزهر
تزْري إذا قستها بالوشْي والحَبْر
قد أحكمتها أكف المزْن واكفة
وطرزتها بما تهْمَى من الدُّرَر
تبرّجَت فسَبَتْ منّا العُيُونَ هوًى
وفتْنَةً بَعْدَ طول الستر والخَفَر

فأوْجِدْ لِي سَبِيلاً إلى إعْمَال بصري فيها لِأجْلُو بَصِيرَتِي بِمَحَاسِن نواحِيها

ومن شعْره يصف وردا بَعَثَ به إلى أبيه :

يَا مَنْ تَأَزَّرَ بِالمَكَارم وارتدى   بالمَجْد وَالفَضْل الرفيع الفَائِق
انْظُرْ إلى خَدّ الرّبِيع مُركّباً   في وجْه هذا المِهْرَجَان الرائِقِ
وردٌ تَقَدّمَ إذْ تأخّر واغْتَدَى   فِي الحُسْنِ والإحْسَانِ أول سَابقِ
وَافَاكَ مشتمِلاً بثوْبِ حَيَائِهِ   خجلا لان حياك آخرُ لاحِقِ

وجاء في النفح أن ابن حبيب هذا كان وهو ابن سبْع عشرة سنة يَنْظمْ النظم الفائق، وينشر النّثر الرائق، وأبو جعفر ابن الابّار هو الذي صقل مِرْآته، وأقامَ قنَاته، وأطلعه شهابا ثاقبا، وسلك به الى فنون الآداب طريقا لا حبا، وله كتاب سماه بـ « البديع، في فصْل الربيع » جمع فيه أشعار أهل الاندلس خاصة، أعرب فيه عن أدب غزير، وحظ من الحفظ مَوْفور، وتوفي وهو ابن اثنتين وعشرين سنة، واستوزره داهيةُ الفتنة، ورَحى المحنة، قاضي إشبيلية عَبّاد جدّ المعتمد، ولم يزلْ يُصْغَى إلى مقاله، ويرضى بفعاله، وهو ما جاوز العشرين إذْ ذاك، وأكثر نظمه ونثره في الأزاهر، وذلك يدل على رقة نفسه، رحمه الله تعالى ! انتهى.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وان أنْس لا أنْسَى شاعر العاطفة الفياضة بكل وصف رائع الذي خُلِق للجَمَال والحبّ. ألا وهوَ أبو الفضل العباس بن الاحنف المتوفى سنة 192 من الهجرة. عاش في أزْهَرِ عصور الدولة العباسية ببغداد عنْدَمَا كان الخلفاء العباسيون يمعنون في تشجيع أهل الادب، ويرفعونهم إلى أعلى الرّتب، ويدرّونَ عليهم اخْلاف النعم فيغرّدون على أدْوَاح النّدى، ويرتلون آيات المديح والثناء. فلم يلتفت العباس لِرياضهم ولا طمَحَتْ عيْن له إلى تراث غياضهم ولا هَزَتْهُ زخرفة الحطام بل ظلّ مخلصا لعاطفته يسجع على مسْرح الحياة سجع الحمام، وبالرّغم عن عزوفه عن المديح فقد اضطرّ العباسيون إلى ارْضاء عاطفتهم بإيثاره ، وتقديره، واعْزازه، وتكريمه اعْترافا بلطيف أشْعَاره، ورقة طِباعه، وتمْجِيدا لنزعته العَاطفية، واعترافا لموهبته الفَياضة، السّاحرة، الفاتنة وإن فيما يرويه ابنَ شبّة الاديب بلاغا ومقنعا. قال ابن شبّة : مات ابراهيم المُوصِلي المعروف

بالنديم ومات في ذلك اليوم الكسائي النحوي والعباس بن الاحنف فَرُفِعَ ذلك إلى الرشيد فأمر المأمون (ولي عهده) أن يصلي عليهم. فخرج فصفوا بين يديه فقال : مَنْ هذا الاول ؟ قالوا ابراهيم الموصلي : قال: أخروه وقدموا العباس بن الاحنف. فقدم فصلى عليه . فلما فرغ وانصرف دنا منه هاشم ابن عبد الله الخزاعي. فقال : يا سيدي كيف آثرتَ العباس بن الاحنف بالتقدم على من حضر ؟فأنشد:

وسعى بها أناس وقالوا إنّها ... لَهِيَ التي تشقى بها وتكابِدُ
فجحدتُهُمْ ليكون لغيرك ظنهم ... اني ليعجبني المحبّ الجاحد

ثم قال : أتحفظها ؟ فقلت نعم وأنشدته. فقال لي المأمون : أليس من قال هذا الشعر أولى بالتقدم...؟فقلت بلى والله يا سيدي.انتهى.

ويروي تاريخ الادب عن حادث وفاة العباس بن الاحنف رواية أبدع وأروع من هذا الحديث الذي رويناه عن المأمون. وهاته الرواية التالية تصف لنا في روعة فائقة ختام حياة هذا الاديب العاطفي، والشاعر الرقيق ما أظن أن تاريخ آداب الامم الاخرى حكى ما يُضاهيها فقد جاء في المروج ما نصه عن جماعة من أهل البصرة قالوا: خرجنا نريد الحج فلما كنا ببعض الطريق إذا غلامٌ واقف على المحجة ينادي : أيها الناس هل منكم أحد من أهل البصرة ؟ قال : فعدنا إليه وقلنا له : ما تريد ؟ قال إنّ مولاي لما به يريد أنْ يوصيكم. فملنا معه فإذا شخص مُلقىً على بعد من الطريق تحت شجرة لا يحر جوابا. فجلسنا حوله، فأحس بنا فرفع طرفه وهو لا يكاد يرفعه ضعفا وأنشأ يقول :

يا غريبَ الدار عن وطنه ... مفرداً يبكي على شجنه
كلما جد البكاء به ... دبّتْ الاسقام في بدنه

ثم أغمي عليه طويلا ونحن جلوس حوله إذْ أقبل طائر فوقع على أعلى الشجرة وجعل يغرد. ففتح عينيه وجعل يسمع تغريد الطائر ثم أنشأ الفتى يقول :

ولقد زاد الفؤاد شجا ... طائر يبكي على فننه
شفّه ما شفّني فبكى ... كلنا يبكي على سكنه

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثمّ تنفس تنفسا فاضت روحه. وبعد أن تولينا شؤونه ودفنه سألنا الغلام عنه. فقال : هو العباس بن الاحنف انتهى.

فأي فصيح يوفي هذا المنظر البديع حقّه من الوصف في دقة ؟ وأي عبارة يمكن لنا أن نعرب بها عن هاته العاطفة الرقيقة ؟ والحق أن العباس بن الاحنف كان من ضروب الادباء الممتازين الذين تجود بهم العناية في بعض الفترات التاريخية النادرة. أو ليست هاته الشاعرية العاطفية الرائعة تترك وراءها هالة من الشعر العاطفي لتتمّ به مجموعة الادب العربي الذي أخذ من كلّ شيء أحسنه : مَدَحَ فأشاد بأهل الفضائل، وشجّعهم على المضي قدما في بناء المكارم وهجا المتنطعين المسرفين المفسدين فأفسد خطّتهم، وعرقل سعيهم وبَكّى أهل المكارم ليقتدي بهم الطموح الذي يحاول النسج على ذلك المنوال فيلتحق بالركب ويكون في طالعة الرعيل.

ومن شعراء العربية الذين عاشوا للطبيعة يمجدون جمالها أبو اسحاق بن خفاجة الاندلسي المتوفى سنة 535 ه. المعروف عند الاندلسيين بالجنّانِ وهو القائل :

سَلَّمَ الغصْنُ والكثِيبُ علَيْنَا
فَعَلَى الغُصْنِ والكَثِيبِ السَّلامُ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان يُضَاحِكُ الحمام بين الرياض، ويداعب الاغصان المائسة فوق الرّبى مُتَغَزّلًا بغُصْنِ البَانِ، هاتِفا بالحمام قائلا :

وَهَاتِفَةٍ في البَانِ تُمْلِي غَرَامَهَا
عَلَيْنَا وتَتْلُو من صبابتِهَا صُحفَا
عَجِبْتُ لهَا تَشْكُو الفِرَاقَ جَهَالةً
وقد جاوبَتْ من كلّ ناحيةٍ إلْفَا
ويَشْجِي قُلُوبَ العاشِقِينَ أنِينُهَا
وما فَهِمُوا مِمَّا تَغَنَّتْ بِهِ حَرْفَا
وَلَوْ صَدَقَتْ فيما تقُولُ من الاسَى
لما لبِسَتْ طوْقًا ولا خَضَّبَتْ كفَّا

وهـو القـائــل :

وَمَيَّـاسة تـزهو وقد خلـع الحيـا ... عليهـا حُلى حُمْرا وأردية خضرا
يذوب بهـا ريـق الغمـامة فضـة ... ويجمـد في أعطافهـا ذهباً نضرا

سقيا لها من بطاح خـــــز ... وَدَوْح نهر بها مُطِـــلّ
فما ترى غير وجـه شمس ... أظل فيـه عـذار ظـــل

وهو من بـديـع الشعـر، وكم لابن خفـاجة من مثالـه.

وقـال أبو اسحـاق بن خفـاجه لمـا اجتمع بـه أبو العـرب وسألـه عن حالـه وقد بلـغ في عمـره احدى وثمـانين سنة: فأنشده لنفسه:

أي عيش أو غـذاء أو سِـنَــــهْ ... لابْن احْدَى وثمـانين سَنَـهْ
قلص الشيب بـه ظـل امـــرىء ... طـالمـا جـر صبـاهُ رسنـــه
تــارة تسطــو بـه سيئـــــة ... تُسخِـنُ العيْنَ وأخـرى حسنه

ومنهم الـذائـع الصيت الغني عن الدراسـة والتعـريف عمر بن أبي ربيعـة الذي لم يمـدح أحـدا قط وكـان يعيش في شـرخ العصـر الاموي وعنفــوان الـدولـة الاموية العـربيـة وملوكهـا انـذاك في حاجـة الى المـديـح. وقد طلب منـه ذلك فأبى وقـال أنـا لم أخلـق للمديـح ومـا هـو من مهمتي في الحيـاة التي يسبيني فيهـا الجمـال...

هـؤلاء وغيرهـم من شعـراء العربيـة الهـواة هم الـذين حلقــوا في آفـاق الجمال وعـاشوا للعـاطفـة وهـم ليسـوا بقليل بيـن أدباء العربية.

محمد الهـادي العـامري

**

اصلاح اغلاط مطبعية وردت فى قصيدة «لحن قلب» لاحمد أميـن (العدد 4 ــ جانفى 1964)
ورد صدر البيت السابع من القصيدة على النحو التالى :
قلت تعودين الى « تربعنا »
والصحيح هو :
قلت تعودين الى ربعنـــا
وورد فى عجز البيت العاشر :
« تخبر » عنك وتحى الرجاء
والصحيح هو :
تخبرنا عنك .. وتحيى الرجاء

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن لا يشكر...!

قصة : بقلم البشير بن سلامة

« على دقات الاجراس المرنة فى الليل البهيم استيقظ من حلمى فى عالم الاحلام ، عالمنا · وعندما انظر الى انعكاس القمر فى البحيرة أرى ، أبعد من صورتى ، صورتى الحقيقية »

« كوجيشه »

كان « على » يعمل فى باجة بمحطة السكك الحديدية وقد غادر قريته وترك اخوته وأخواته فى كفالة جده لانه ضاق ذرعا بتصرفات عمه وتأثيره على جده الشيخ · وبينما كان بعيدا فى هذه المدينة وقد الف الجلوس الى « الشيخ » والى « الصبايحى أحمد » اذا به يساق الى الجندية قهرا والحرب الاولى اذ ذاك على أشدها فيمثل أمام الضابط الفرنسى وكان صاحب لثغة ويتهمه بالهروب من الجندية ويقرر ارساله الى فرنسا · فيصمد علي ويثبت انه لا يعلم من ذلك شيئا الى أن يأذن الضابط الفرنسى بادماجه فى حرس الباى · فها هو الآن يسير نحو ثكنة باردو ·

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

··· خرج على من دار « الباى » يسوقه « الشاوش » وهو مسرور بنصره، مزهو بموقفه وتغلبه على هذا الرجل القوى فرح بانفلاته من مصير لا شك محتوم وهو الموت فى ساحة الحرب ، بينما طاقة الحياة تدعوه الى أن يحيا ، الى أن يذلل الصعاب ويقتحم الاخطار ويعرف من الدنيا الكثير ، أما أن يتعرض الى هذا الذى لا يمكن أن يصارعه وأن يكون مصيره مصير والده فهو الذى لم يكن ليقبله أبدا · انه أحس فى تلك اللحظة كأنه قد صرع الموت ، نعم صرع الموت وانتقل الى عالم بعيد عن انقطاع الحياة ، بعيد عن نضوب معين «الانطلاقة نحو التفتح » !· هو عالم جديد كل طاقته موجهة الى معرفته ، الى الغوص فيه ، ولكنه عالم مجهول · وتجهم وجهه ودق قلبه دقات سريعة وانتقل فكره الى عالم آخر ، عالم طفولته وقريته فحن اليه وأحس برغبة ملحة فى التراجع الى الوراء ، وثقلت خطاه وتجاذبت نفسه أطياف الماضى وأغوار المستقبل فأحس بالهاوية تنشق تحت رجليه ، وشعر بانه تهاوى الى عالم ثالث هو عالم الغيبوبة والحيرة فيه تتوقف عجلة الفكر جامحة حرونا وفيه تغوص النفس فى أوحال التردد والتشتت ·

ـ من هنا ياسى الشباب ·

أفاق على صيحة الشاوش الذى عطف به نحو طريق « الملاسين » فانحدر معها وكأنه لا يضبط من حركته شيئا ٠ لقد ترك للاقدار تسير به كما تشاء وتقوده نحو هذا العالم المجهول ٠

ــ اسمك يا دين الكلب !

ــ على الغافل

ــ أيا تهنينا عليك

ــ ....

ــ قولى ٠٠٠ تصك التالى والا القدام

ــ شنـــوه !

ــ قلت لك تصك التالى والا القدام

ــ ما فهمت شى

ــ معناه ياسى المستك تعرف تقرا بالفرنساوى والا بالعربى ٠

ــ نعرف الاثنين

ــ تعرف الاثنين ٠٠٠ أمك الكلبة الا ما نحرث عليها ٠ الا ما نقصفك قبل ما تطلع قرينات كيف الى سبقوك ٠٠٠ توه تشوف وقت الصك والرك نحن « جلاص » البهايم ٠

http://Archivebeta.Sakhrit.com

وسمع على غمغمة ثم طقطقة أسنان ٠ فاقشعر بدنه والتفت الى رفيقه فى الطريق فوجده قصيرا فاحش القصر ولكنـه عظيم الكراديس كبيـر الرأس قـوى العضـلات تتأرجح منه يدان قد جمعت قبضتهمـا فى تحـد وتشنـج ولم يسعه الا أن يسكت امام « النجمات الاربع » وأن يستسلـم الى بـوادر هذ العالم المجهول وظن انه غرق ولم يدر انه انزلق ٠

∴

ــ يا شاوش فرج ٠٠ يا شاوش مختار ٠٠ يا شاوش عثمان ٠٠

هكذا أخذ الشاوش ينادى بأعلى صوته عندما وصل الى ثكنـة باردو ولمـا حضر هؤلاء وسألوه قائلين :

ــ اشبيك يا قحطار ٠

قال لهم :

ــ ها هو جاكم « الفرادى » راهو يصك التالى والقدام ٠ ردوا بالكم منو ٠

ويلتفت نحو علي قائلا :

ـ أما والله قريناتك الا ما نحجمهم لك ٠

كل هذا وعلي لا يهمه من أمر هذا الكلام شيء لانه مستعد أن يقبل كل شيء ، كل الاهانات وشعوره هو أنه أصبح لا يعرف الحد الذي يمكن أن يعتبر فيه الانسان الاهانة اهانة والاكرام اكراما ٠ فكم التفاتة ظنها اكراما وهي مهانة وكم حقارة ظنها اذلالا وهي اكرام ٠ اختلطت المقاييس وتلاشت الحدود واضطربت الافكار وتهاوت القيم : صنع الانسان بأخيه الانسان عندما ينفرد بالمصيبة ويشعر بالوحدة في عالم غريب مقاييسه غريبة ٠

∴

ـ الى السلاح ٠٠ الى السلاح ٠٠ الكلبة جاءت ٠٠ الكلبة ٠٠ الكلبة ٠٠

صرخ الحارس أمام الباب هذه الصرخة ٠ فرأى علي كلبة تهرول نحو الثكنة فالتفت الى القوم فرآهم يجرون يختفي البعض ويظهر الآخر وتزال الاوساخ وتسمع حركة نشيطة ووقع أقدام متلهفة ويظهر الضباط وهم يسوون بدلاتهم ويزيلون الغبار عنها ويلمعون أحذيتهم ٠ أشكال غريبة من الطويل الى القصير ، الى البطين المتلئ شحما الى النحيف المبالغ في النحافة ٠

وقف الجمع أمام الثكنة ينتظرون وأعناقهم ممتدة نحو الطريق كأنها ترصد نجما أو تعاين كسوفا ٠ واذا بجواد يطل يركبه ضابط فرنسي فاتضح له كل شيء ٠ وبدأت التحيات والانحناءات متكررة ملهوفة مبالغ فيها أما علي فكان ينظر ويفسر ويحاول الدخول في هذا العالم ٠ وبينما هو كذلك اذ بضابط صغير يجره الى غرفة مظلمة ويشير له بأن يختفي فيها الى حين ٠

∴

الظلام شديد ، اللهم بعض النجوم المتدلية من السماء تنطفيء تارة وتظهر أخرى ، متحدية الارض ومن فيها ٠ لكن عليا أنس هذه الظلمة فأخذ يذرع المكان جيئة وذهابا وقد شد الى كتفه بندقيته والتف في ثيابه خوفا من برد الهزيع الاخير من الليل ٠ كل أركان الساحة الغظيمة تظهر له بحجارتها وباكداس الحطب والفحم المبعثر هنا وهناك وتظهر له أكثر من ذلك ظلالها التي يحركها الريح فيختلط في نظره الفحم بظله والحطب بأشباح الحطب والحجارة باشباه الحجارة ٠ أما باب البرج المنتصب في أقصى الساحة فهو حقيقة واقعة لا يأتيه الباطل من ورائه ولا من خلفه ٠ لقد تحدى الظلام وكفر بالظل والاشباح والاشباه وصمد أمام عواصف الزمن وتقلبات الدهر وزوال الدول فظهر عاريا من كل لبس عظيما ٠ هذا العالم كله وضع نفسه تحت تصرف علي يحرسه ويمنع عنه كل دخيل وسمح له كذلك بأن ينفذ بعينيه الى خباياه مثل نجوم السماء ٠

هى أول ليلة يعين فيها عليا للحراسة بعد خمسة عشر يوما من التدريب وهى اول ليلة لا يحس فيها بوحشة لان هذا الظلام وهـذه الاشبـاح وهـذا العالم المضطرب بين الحقيقة والخيا ليذكره ليالى قريته الحبيبـة الى نفسـه • وتداعت حركته الى الطمأنينة والراحة فاختار مكانا بين الحجارة وجلس متكئا بكلتا يديه يستمتع بهذه الوحدة التى نسيها منذ أيام ، هذه الوحـدة التى تشعره بأن له وزنا وأنه يحيا • وترامت به الخيالات بعيدا الى الوراء سريعة الانتقال غائصة فى لفائف الماضى السحيق مخترقة كثافة الليل الى ليل آخر كان يجتاز فيه زقاق قريته الطويل مع اخوته وأخواته وابنـاء عمه وبنـات عمه ليقضوا السهرة على شاطىء البحر المترامى الاطراف وكم لعبوا وركضوا وسبحوا لا هم لهم الا أن يبتعدوا عن عيون الآباء والامهات وأن يطلقوا لرغباتهم العنان فى سذاجة وبساطة وعفوية لا يرهقها الماضى ، وهم خلو من كل ماض ولا يكبلها المستقبل ويقيدها التفكير وتطمس معين أللذة منها الاوهام والخيالات وألوان التردد • غير أن ذلك الليل لم يكن مثل الليالى الاخريات لانه أحس بتغيير فى كيأنه وبحاجة ملحة لا يدرى هل هى من صنع خيالـه وتفكيره أم هى فرضتها عليه غرائزه ونمو جسمه • على كل فلقـد شعر بانـه يجب أن يحب واجتهد فى أن يحب فوجد فى ابنة عمه مريم ما يرضى هذه الرغبة • لقد شعر كأنهقد خرج عن رفاقه فسلبت عنه هذه العفوية وأصبح يرى الاشياء غير التى كان يراها لانها أصبحت مضطربة لا تخضع لمقياس • اقترب من ابنة عمه وأمسك بيدها ونظر فى عينيها الواسعتين وضمهـا اليـه فلم تمانعـه وسكتت عنه ولكنه لم يقل شيئا ولم تقل هى شيئا وذهب فى ظنه من ذلك اليوم أنه يحبها وتحبه حتى فارق قريته بعد أيام •••

http://archivebeta.sakhrit.com

وفى هذه الليلة وهو فى هذه الساحة المظلمة حاول أن يتذكر ملامح مريم وأن يعرف هل أن عينيها زرقاوان أم شهلوان فلم يفلح وحاول أن يتصورها بأجزائها فلم يتوفق وساءل نفسه هل أنه يعرفها اذا وقفت أمامه أم سيراها غريبة عنه • بقى محتارا لا يعرف هل أن هذا من آثار الحب أم هو من آثار تغيره وخروجه عن سذاجته وعفويته واذا به يتذكر أن هذه الحالة شعر بها فى فتـرة حاسمـة من حياتـه عندمـا أشرف عـلى السادسـة من عمره وبقيت كامنة تنمو فى باطنه حتى انفجرت صارخة فى حبه • فكان رحيله ••••••

تذكر كل هذا ولم ينس منه ولو جزئية واحدة وأحس برأسه يثقل عـلى يديه المسكتين بالبندقية وبأوصاله ترتخى فغفا ولـم يشعر الا بالبندقيـة تسقط وبرجات عنيفة تدوى فى الساحة فانتصب على قدميه والتقط بسرعة سلاحه وأخذ يتعرف الى مصدر الرجة فما راعـه الا وبـاب البـرج ينتفض انتفاضا كأنه قد ثقل عليه الزمن فأراد التخلص منه فاقشعر بدن على ووقف شعر رأسه حتى أن « شاشيته » كادت تسقط • فأمسكها بيده المرتعشة وهم أن يطلق ساقيه للريح أو يصرخ صرخات يسمعهـا الحراس الآخرون ولكنـه

تشجع وصوب بندقيته نحو الباب واتجه بخطى ثابتة اليه ولكنه عندما اقترب كف الدوى وانقطع كل صوت وسكنت الريح · فتراجع الى حيث كان ، واذا بالباب يعود الى انتفاضه فيعيد الكرة مرة أخرى ويصل الى البرج فتنتهى كل رجة · فاعتقد أن الجن أرادت أن تعبث به فى هذه الليلة فثبت فى مكانه ثم تأخر وكأنه أفاق وداخله الوعى ففطن الى أن تلك الاصوات هى صدى قرقعة عجلات « الكرارط » المارة من طريق بنزرت فاطمأن اليها ·

∴

مد باش شاوش معمر يده وناول الجندىعليا برقية وقالله فىأسف يخالطه نوع من الارتياح

ـ البركة فيك جدك توفى !

∴

لقد مضى على وجود على بحرس الباى شهر كامل تعود فيه تلك البدلة التى استغربها فى اول الامر وسخر منها فى داخله · ولكم وجد مشقة عظيمة فى لف تلك الشملة على وسطه ولكنه أصبح بعد أيام ـ بحيلة اكتشفها لنفسه ـ يشتمل فى أقل من لحظة وتعود أيضا تلكالسراويل الحمراء الخشنة وذلك الحذاء الثقيل وتلك الشاشية ذات الشرابة القصيرة · انه أحس فى أول يوم كدبيب النمل فى رقبته بسببها ولكنه ها هو بعد شهر يخال نفسه كأنه قد قضى عاما فى الجيش · ان دخوله فى هذا العالم المجهول واطمئنانه اليه وأنسه به واطلاعه على طلسماته هون عليه المصيبة خاصة وأنه عين فى أقرب وقت فى مكتب الباش شاوش معمر فلقى منه المساعدة التامة لانه وجد فيه مقدرة عجيبة على تحبير الملفات بالفرنسية والعربية فاعفاه من التمارين العسكرية وكف عنه صولة الكبرانات « والشـواش » وخاصـة الشـاوش «القحطار» ··· ولقد مكنه عمله هذا من الاطلاع على غرائب هذا العالم المجهول بجنوده وضباطه · وعرف أن الجهل هو المهيمن وأنه بقدر ما يكون الضابط غبياً مطموس الذهن بقدر ما يكون مؤهلا لكل ترقية وكل جزاء · واياك اياك أن تكون فطنا واعيا ذكيا فتتعرض الى اسوا مصير · ولذا اقتصر الجندى على على الطاعة والعمل فى صمت وساعده على ذلك الباش شاوش معمر اذ وجد فيه طيبة قلب وسعة صدر وسلامة طوية مكنته من أن يبثه مخاوفه فيما اذا توفى جده وبقى هو بعيدا عن اخوته · فعمه بالمرصاد لا يتورع من اغتصاب قسط أولاد أخيه من الارث وهو لا مناص له مـن اللحـاق بأهلـه حينـذاك والقانون لا يسمح بذلك طبعا · فطمأنه « الباش شاوش » مؤكدا أن له تأثيرا كبيرا على القبطان « عمر الضبوعة » وحدثه طويلا عنه ، عن جهله التام وطمعه الفادح وسهولة انقياده ثم أمره بأن يرافقه ··· وخرجا معا من المكتب وتوجها الى رئيسهما · وما ان شارفا منتهى الدهليز حتى سمعت حركة غير عاديـة ووقع أقدام واذا بالضابط الفرنسى صاحب اللثغة مع ثلة من الضباط ومعهم

« عمر الضبوعة » يتقدمون فانضم اليهم « معمر » وتجاسر على فبقى مع الجمع .

∴

مر الضابط الفرنسي بأوساخ في الدهليز فقال ، وكانت به لثغة :

ـ ما هذا ثي عمر

وعوض أن يجيب القبطان ويحاول أن يجد مخرجا ويبحث عن تعلات فانه يكتفي بالانحناء مع التصاق يديه بجنبيه كالطائر عندما يحس بالخوف ثم يتأخر قليلا ويلتفت الى الملازم « الطزي » قائلا في صوت خافت :

ـ يا « طزي » هلكتني .. خليت لي ابيتي .. يخلي ابيتك .

ويفطن الفرنسي الى ذلك فيلتفت ويقول :

ـ ما وقع ثي عمر .. ما وقع ..

ـ لا .. لا .. شي

وبعد قليل يقف صاحب اللثغة أمام زجاج نافذة مكسر فيسأل القبطان عن ذلك فيجيبه :

ـ أوف بوم كسير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فيفهم الضابط أن الريح أغلقت الباب بعنف فكسرت الزجاج ثم يقول :

ـ وهذا ثي عمر

ـ هذا .. لي بيش بيش .. لبوم كسير

يريد أن الطق قفز فكسر الزجاج.ويدخل الجمع الى المطبخ. فتشم منه رائحة طيبة فيسأل الضابط الفرنسي عن سبب ذلك ويعجز الضابط « عمر الضبوعة » عن الجواب ويقول :

ـ لي فيت أفيك ... أفيك ... أفيك ...

وينحني حتى يبرز مؤخره ويربت عليه قليلا ويقول :

ـ لي موتون

يعني بذلك أن سبب طيب هذه الرائحة هو شحم الية الكباش

كل هذا وعلي يستغرب هذا الوضع الذى قد حجب عنه طيلة شهر كامل ويزداد اضطرابه لان هذا العالم الجديد سيبقى منغلقا عليه لا يعرف مقاييسه ولا يمكن أن ينسجم معها ولا أن يرضاها لنفسه . وبينما هو في استغرابه

اذا « بمعمر » يلتفت فيجده • فينظر اليه فى غضب ويشير اليه بالانصراف حالا الى المكتب •

رجع على الى مكتبه يحاول أن يتبين موقفه من كل هـذه الاحداث : مـوت جده ، السماح له بالرجوع الى قريته وأهله مدة طويلة ، واكتشافه لهذا العالم الذى كان مجهولا عنده • أيحزن لموت جده وقد كان يحبه لانه كان يعطف عليه وعلى اخوته أم يسر لان هذا الخبر سيمنحه أمنية غالية عليه وهى زيارة الاهل وخاصة مريم لانه سيراها وسينظر اليها طويلا حتى يتعرف الى لون عينيها والى ملامحها فتبقى فى ذاكرته الى الابد ولن يعود ينساها أبدا ، أم يغضب لهذه الحال التى وجد نفسه فيها وهذا الوضع الشائن الذى دفعه اليه الزمن دفعا • فلكم ود أن يكون على تلك العفوية التى عرفها فى طفولته والتى تدعوه الى أن يسر أو يحزن أو يضحك أو يبكى من دون تردد أو تفكير طويل ، أما الآن فالحال تقضى اذن أن يستسلم وأن يترك كل ما من شأنه أن يدفعه الى اختيار موقف معين • كيف يمكن له أن يقرر فرحه أو سروره وهو لم يتسبب فى موت جده ولا فى الرخصة وليس له دخل فى سير هذا العالم الذى هـو فيه • فكما أن هذه الاحداث هى مفروضة عليه ليس له ارادة عليها فسيترك لهذه الاحداث الحرية فى أن تؤثر فيه • فهى متداخلة مشتبكة فلتكن حالتـه اذن مشتبكة متداخلة وهى مصطبغة بالزيف والعبث فليكن موقفه لا معنى ولا قيمة له : عبث وزيف وانكار أو بالاحرى فليقف ساخـرا من كل هـذا محتارا ان شئت مترددا أو فليكن لا شىء : التفاهة بعينها • هو تافه حقيقة : بيدق من بيادق « عمر ضبوعة » والشاوش القحطار ومثلهما كثير ، هو ريشة فى مهب الرياح يتلاعب بها « الطزى » وأمثاله •

وبينما هو فى هذه الحيرة اذا ببوق الطعام يرن فيخرج وقد امتلأ الدهليز بالجنود ويتوجه الى غرفة الاكل •

البشير بن سلامة

انـتظروا قريـبـا

* عـددا خـاصا بالشعر *

النهـــــد

شعر : جعفر ماجد

فَتَّقْتُ أكمَامَ العَبِيـــرْ وَلثَمْتُ بُرْعُمَكِ الصَّغِيرْ
حتَّــامَ يَا مَغْـــرُورَةً يَصْطَادُنِي النَّهْدُ الأسِيرْ
قَدْ كانَ يَشْكُو أسْـرَهُ فَقَطَعْتُ أغْلالَ الحَرِيرْ
أنَا لاَ أمُوتُ بِحُبِّـــهِ فِي حِصَّةِ العُمُرِ القَصِيرْ
النَّهْدُ يَحْسُرُهُ القَمِيصُ فَيَعْتَلِي كَالمُسْتَجِيـــرْ
يَهْتَزُّ فِي أغْـلالِهِ وَيَهِمُّ – رَغْمَكِ – أنْ يَطِيـــرْ
لا تَخْجَلِي دَلْ يَمْنَعُ التَّيَّارُ زَمْجَرَةَ الهَدِيــرْ
فَتَكَسَّرِي مِثْلَ الأشِعَّةِ وَالهَثِي فَوْقَ السَّرِيـــرْ
وَاسْتَنْزِلِي النَّارَ الأكُولَ فَمَا ألَذَّكِ مِنْ سَعِيـرْ !!
أنَا شَاعِرٌ حَسْبِي الهَوَى وَالخَمْرُ وَاللحْـنُ المُثِيرْ
أطْعَمْتُ نَفْسِي بَعْضَهَـا وَكَفَرْتُ بِاليَوْم الأخِيـــرْ
فِي شَعْرِكِ الليْلِيِّ أبْحَثُ يَا صَغِيرَةُ عَنْ مَصِيرْ
وَبِجَمْرَةِ النَّهْدِ المُضَرَّجِ أقْتُلُ السَّأمَ المَرِيـــرْ
مَا ضَرَّ أنْ يَثِبَ الفَرَاشُ عَلَى اللهِيبِ لِيَسْتَنِيـــرْ
إنْ تُسْألِي عَنّي فَقُـولِي :
إنَّـهُ... طِفْلٌ كَبِيرْ

ج • م

الشحم والورم

قصة بقلم : الحبيب ابراهم

نظر بسطام أمامه يمنة ويسرة فتعجب • لكأن هذه الطريق التى يسلكها اليوم ليست تلك التى ما انفك يقطعها فى كل غدو ورواح • ما للجبال تبدو له هضابا ؟ وهذه الصخور ، وهذه الوديان ، وهذه الادغال ، التى كانت تملأه روعة ورهبة ، مالها ذليلة حقيرة ؟

وابتسم

أهذا كل ما كان يخيفه ؟ أمن أجل هذا كان أبواه يوصيانه بلزوم الكهف العائـــلى ؟

لقد كان يأخذه معه للصيد • فكانت المغامرات وكانت الاخطـار • وكان صراع الذراع العارية مع الناب والظفر والسموم • وكانت الغزوات يعودان اثرها منهوكى القوى مثقلين بالغنم السمين •

لكنه لم يغادر الكهف وحده قط • وحتى مع أبيه ، لم يكن يسبق أباه قط وكيف يسبقه وتلك الاصوات المخيفة تنبعث من الغاب بين عواء وخوار وزئير وصفير فتملأه رعبا وتدفع به الى الاحتماء بالظهر الابوى العتيد •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد أفاق اليوم من نومه على أنات توجع أرسلها أبوه الشيخ فخيل اليـه انه لم يكن من قبل يعرفه • لم يكن يرى عليه هذا الهزال • لم يكن يرى على وجهه ما رآه اليوم من شاحب الغضـون ولـم يكن يعرف لشعره كـل هـذا البياض • فلما رآه اليوم أدرك انه لم يبق له بالظهر الابوى احتماء • ولما رأى اليوم دموع أمه العجوز أدرك أنه مدعو لان يفعل شيئا •

لم يتردد

انتصب من مضجعه فتسلح بهراوة أبيه وتمنطق بخنجره العظمى وانطلق ••• انطلق ليختبر ساعده •

فكان الاختبار تدشينا لساعده •

لقد كان عالة على أبويه • كان متعلقا بأذيالهما • كان لهما ظلا • كانت حياته فى حياتهما • لن يجوع اليوم لجوع أبويه • ثم لن يترك أبويه للجوع والبرد والخوف •

لقد كان جبانا • كان ظهر ابيه ترسا له • كلا لن يجد الخوف الى قلبـه

منفذا بعد اليوم ، وهل فى هذا الحصى المتناثر وهذه الحشائش القميئة وهذه السواقى الضحلة شيء يخيف ؟ •

لقد كان ضعيفا • لم يكن قادرا على مسيرة يوم • لم يكن قادرا على مصارعة ذئب • لقد التفت عضلاته وقوى ساعده واكتنز لحمه وتلبد • سيدوس الوحوش دوسا سيخضع لقدمه الجبل والغاب فيقتحم على السباع والضباع عرائنها والحجور • ويجتثها من مخابئها ذليلة صاغرة •

لقد كان طفلا ، كان غرا • كان يحسب الزئير والعواء تهديدا • وقد أدرك أن الزئير نحيب وأن العواء بكاء • ليملأن الغاب نحيبا وبكاء •

ولقد أصبح رجلا • هذا الزغب على وجهه يسود فيصبح شاربا ولحيته جمة ، وهذا صوته تتضخم نبراته فيغدو خشنا أجش •

نعم ، لقد أصبح رجلا •

هذا الاسد الذى يحمله شاخب الدم شاهدا •

سيعود به الى الكهف العائلى فيبهر أبويه العجوزين ويكفيهما مؤونة الصيد حتى يبدو الهلال الجديد •

انه يحب أبويه •

يحبهما لانهما انجباه فجعلا منه هذا الرجل الذى هو اياه •

سيجلب لهما الطمأنينة على طعام اليوم وأمن الليل سيقيهما الحر والقر سيضمن لهما الراحة ورغد العيش • سيذود عنهما بهذا الساعد الذى صنعاه

نعم • وسيجمع لهما زهورا لكى يدخل فى قلبيهما البهجة الفواحة التى حرماها •

وحط بسطام عن كاهله الاسد الذبيح • وشرع يجمع الزهور ويقطف الــورود •

وفجاة توقف •

رأى فتاة ينوء ظهرها تحت عبء كوم من الحطب • راها تنحنى وتتعثر • فاهتزت كبرياؤه •

انه قادر على أن يكفيها مؤونة هذا الحمل الثقيل • انه قادر على تحمل اتعاب الناس جميعا • كلا ، لن يرضى لنفسه بان يقف هكـذا بينما يسيل عرق النســاء •

فاقترب • وطلب منها أن تحمل كتفه ما يرهقها فأجابت مبتسمة لاهثة :

ــ لقد اعتدت حمل هذا واكثر •

فانتزع منها الكوم انتزاعا وتمتم :

ـ عبثا يستأسد الغزال

فنظرت اليه فى خفر واعتداد وقالت :

ـ وعبثا يتغزل الاسد

ونظر الى قامتها وهى سائرة أمامه تهديه الطريق ، فأمتــلأ نظره بغير مــا كان مشحونا به .

تذكر انه شاب . هذا الدم الجارى فى شرايينه يذكره انــه رجل شاب . هذه العضلات وذلك الاسد الملقى هناك ، تذكره أنه ذو قــوة يانعــة . وحتى هذا القلب فى صدره يخفق لغير ما كان يخفق له . فلم لا يلبى هــذا النداء الجـــــديد

لقد كان عالة على غيره . ولقد اصبح غيره عالة عليــه . فلـم لا تكون لـه عائلــــة .

نظر الى الفتاة السائرة امامه .

هى مثله يانعة الشباب .

ARCHIVE

قالت له ان اسمها عاتكة وان أباها افترسته الوحوش وأن أمها عجوز وانه لا بعل لها .

http://archivebeta.sakhrit.com

فتعالت دقات قلبه المزعجة . وخيل اليه ان هامسا يهمس :

« انها هى ، ستكون هى »

واخذ يحادثها عن نفسه ، عن ابويه ، عن الاسد الملقى هناك ، عن الغد الملىء بالامل العريض . فاصغت خاشعة تشرب حديثه المتدفــق كأنما تنهل مــاء السمـــاء .

وفجأة قالت مشيرة الى كوة فى الجبل :

ـ تلك دارنا .

فارتعش وأجاب :

ـ الا تريدين أن نجدد اللقاء ؟

واتفقا على الهلال الجديد موعدا ، وافترقا بعد أن أهداها باقة الزهور .

وعاد الى كهفه العائلى يحمل الاسد الصريع . فنظر اليه أبواه فى اعجاب وقرأ فى عيونهما أملا وابتهالا .

قالت الام للاب حينما جن الليل وانتشر الظلام :

ـ ولدنا اليوم رجل ٠

فأجاب الاب بين انكسار وانتصار :

ـ أستطيع الان أن أموت هانئا ٠ لقد ضمنت بقائى ٠
أجابت الام :

ـ كلا ، لن أنال الهناء حتى أضمن له البقاء ٠

وأفاق الابن من نومه على همس ٠ فأذا مصيره فى الميزان ٠ واذا أبواه يتفقان على أن يجمعه بابنة عمه زواج ٠

لم ينم باقى الليل ، تقلب وتقلب

هذا المصير فى الميزان اثقل وطأة من حمل السباع ٠

نعم انه حر فى أن يختار ، لكنه اختيار بين أمرين احداهما مر ٠

أيبر بالوعد أم يبر بالوالدين ؟ أيختار حرية العقوق أم يختار الطاعة لجميل ؟ أيفضل اعتبار نفسه أصلا أم يفضل اعتبارها فرعا ؟

كلا لن يتنطع ، لن يتملكه الغرور ، لن يتمرد الفرع على الاصل الحقيقى المتمثل فى أبويه ، هما خلقاه ٠ هما خلقا قلبه ٠ فان خفق لغير ما اتفقا عليه فقد تمرد على خالقيه ٠

http://Archivebeta.Sakhrit.com

كلا ، سيحطم آمال يوم فى سبيل آمال العديد من الاعوام ٠

ثم ، هل ترضى به عاتكة فرعا مقطوعا ؟ هل ترضى به عاقا ؟

كلا ، لن يرضى لنفسه بأن يكون الزوج الشريد ٠

وانتظرت عاتكة موعد اللقاء ٠ وانتظرت اللقاء فى الموعد ٠ وانتظرت اللقاء بعد الموعد ٠ انتظرت بدون جدوى ٠

وعلمت يوما أن بسطاما تزوج بابنة عمه ٠

∴

أطل هشام من زجاج السيارة على مشاهد الطبيعة وهى تتلاحق وتتدافع فتعجب، لكأن هذه الطريق الذى يطويها اليوم ليست تلك التى كان يطويها فى كل عطلة حينما كان يزاول تعلمه بالعاصمة ٠ ما للحقول تبدو له قفارا ؟وهذه المدن ، وهذه القرى التى كانت تملأ ، شوقا واعتزازا ، مالها ذليلة وسخة ؟ وهذه الجموع التى تجوس بينها السيارة فى كل قرية ، مالها كئيبة محنية الظهور ؟

وتنهد

أهذه هى الارض التى كانت تدعـوه بالشـوق والحنين ؟ أمن أجل هـذا الفراغ دعاه أبواه الى العودة فى هذه العطلة القصيرة ؟
وتذكر أباه

لقد كان يقوده الى مدرسة القرية صبيا ويرافقـه الى المدرسـة الثانويـة شابا • كان يأبى عليه أن يعود الى المدرسة وحده ، كان يقـول انـه يخشى عليه زحام العودة ويخشى أن يحتاج الى شيء طارىء فيفقد السند •

وتذكر أمه وهى تشيعه بدموعها وتدس فى جيوبه النقود خلسة وتدعـو له بالسلامة والصلاح •

كان يعرف ما لقيه أبوه فى سبيله من عنت الدهر وما رضيت به أمه لاجله من حرمان • كان يعرف هذا منذ كان صبيا رغم انه لـم يسمـع منهما قط تذمرا أو شكوى • فانكب على الدرس حتى بزكل زملائه وظفر بالمنحة الحكومية التى ضمنت له المآكل والمبيت وأدوات الدرس •

كان يعرف ما يلقاه بلده فى سبيله من عنت الدهر وما رضى بـه قومـه لاجله من حرمان •كان يعرف هذا منذ أصبح شابا رغم أنه لم يسمعمنهم قط تذمرا أو شكوى • فازداد على الدرس انكبابا حتى انتزع نجاحـه من البـلاد الاجنبية انتزاعا •

لقد كان طالبا ، كان طفلا • كان جدولا • كان كل المطلوب منه أن يطيع أن يخضع ، أن يسمع ويصمت وأن يخفض الصوت ان سئل • كان واجبا عليه أن ينقاد للجموع صاغرا • كان فرعا • كانت حياته فى حيـاة الاصل الاجتماعية •

ولقد أصبح الطالب المطيع عالما يأمر • أصبح الطفل رجلا • اصبح الجدول ينبوعا • أصبح الفرع أصلا •

لقد آن أن يتكلم فيسمع الناس • وآن أن يرفع صوته فوق أصواتهـم • وآن أن يمتد وقد انتزع منهم حياته •

هذه الشهادة التى يحملها تعنى كل هذا وأكثر •

سيعود الى قريته عودة الظافرين • سيعود الى قومه عودة السند الاميـن وسيفتخرون • ويحق لهم أن يباهوا به وقد انبثق من صلبهم أول دكتور فى العلوم الذرية •

وتذكر ما جاء فى احدى رسائل أبيه • لقد قال لـه ان القـوم فى بلـده يهدمون القبور ويبنون ع لىأنقاضها ما ينفع الاحياء •

وخيل اليه انه المحراب الجديد • وانـه سيقوم على القبـور منبعـا يحيى شعاعه الرميم •

وابتســــم

نعم سيكون الشعاع الذى يحيى الارض الموات ·

انه يحب قريته لانها انجبته فجعلت منه هذا الرجل الذى هو اياه ·

سيجود عليها من علمه بما ينبت الرمال ويفجر الصخور ويستنزل السماء سيذود عنها بهذا الدماغ الذى صنعته ·

لقد آن أن يسخر قواه لخدمتها كما سخرت قواها لخدمته ·

وصل الى منزله العائلى فاقتبلته أمه مزغردة تعلو وجهها البهجة والبشر واقتبله أبوه مسلما ترفع رأسه الفرحة والفخر · واقتبلته عائشة ابنة عمه اليتيمة ، تلك التى قضى بجوارها أحلى أيام الصبى ·

قال لها :

ـ كنت أول الناجحين

قالت :

ـ هنيئا لك

قـال :

ـ بل هنيئا لنا

لقد كان يعلم انها خطيبته الموعودة · كان يعلم أنها أمنية العائلة وكان يعلم انها تنتظره كما انتظرته فى شوق يلجم ضجيجه الحياء ·

قال لها :

ـ سأعود الى فرنسا فأقضى بها شهرا كى أودع الاصدقاء وأربط الصلة الدائمة بالاوساط العلمية ، ثم أرجع اليكم ·

رفعت رأسها فى ابتهال فاردف :

··· ثم ارجع اليك ·

وحان موعد السفر القصير · ورافقته عائشة مع من رافقوه الى المطار · واتفقا على التراسل كل أسبوع ·

ثم طـار

وانتظرت عائشة نهاية الاسبوع وانتظرت رسالة الاسبوع · وانتظرتها بعد نهاية الاسبوع والشهر · انتظرت بدون جدوى ·
وعلمت يوما أن هشاما تزوج بفرنسية ·

الحبيب ابراهم

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

مع الجاحظ السياسي | في كتاب «فضل هاشم على عبدشمس» ورسالة «في بني أمية»

او الجاحظ والنابتة

بقلم : احمد خالد

انتشرت الحرّيّة في عصر الجاحظ كاملة مطلقة فأمكن القول وصلح الدّهر وخوى نجم التّقية وهبّت ريح العلماء» (الحيوان) فشاع الجدل في المجتمع العراقي وتعدّدت النّوادي وأثيرت فيها شتى المشاكل التي شغلت الافكار يومئذ فسجّلها أبو عثمان في كتبه ورسائله واطلعنا على ما كان يدور في تلك النّوادي من أحاديث ومساجلات ومفاخرات ورسم لنا لوحات طريفة لمجالس اللهو والشراب وحلقات المسجديين وأهل الأدب والسياسة بريشة فنّان امتازت ملاحظاته بالدّقة والإنتقاء.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واتخذ أبو عثمان بالخصوص مفاخرات الاجناس المتطاحنة داخل المجتمع العراقي في زمنه موضوع كتب ورسائل تمكن الباحث من معرفة مذهبه السياسي إذ يعتبر أبو عثمان – فضلا عن كونه أديبا وعالما طبيعيا ومفكرا دينيا واجتماعيا – مُلاحظا سياسيا وملتزما أيضا. وحمل الجاحظ بلا هوادة ولا رحمة على الشعوبية دعاة التفوّق أو التسوية في كثير من رسائله السياسية وإنْ سالمهم أحيانا خدمة لمصلحة الدّولة (1) وانتصر للعرب أهل الحل والعقد يومئذ.

ومن الغريب أن الجاحظ الذي نصّب نفسه للدّفاع عنهم ألف كتبا في مفاخرة قحطان وفي تفضيل عدنان منها كتاب القحطانية

(1) انظر : مقالنا «مع الجاحظ المفكر الإجتماعي» مجلة الفكر العدد 4 جانفي 1963 ص 20 ومقالنا «مع الجاحظ السياسي» مجلة الفكر العدد 7 افريل 1961 (ص 49 – 63)

والعدنانية » (2) كما ألف « كتاب مفاخرات قريش » (2) و « كتاب فخر ما بين عبد شمس وبني مخزوم » (2) و« كتاب فضل هاشم على عبد شمس » (3).

وكيف يتيسّر إذا كان الجاحظ بإزاء منافرات ومساجلات وفخر عرب الشمال على عرب الجنوب وبيت من بني عبد مناف في قريش على البيت الآخر. أن تكون كتبه « عدلا بينهم وداعية لإصلاحهم » (4) سيما أنّنا سمعنا منه هذا التصريح : « وليس أدعى الى الفساد ولا أجلب للشرّ من المفاخرة » (4) أفلا يؤدّي التنافر باللسان والتّفاخر بالقول الى التّفرقة والى المواجاة بالخناجر والمطاعنة بالسيوف ؟ أجل إنّ « الحمية (على حدّ قول أبي عثمان نفسه) لا تُبقي دينا الا أهلكته » (5) ففيها الهلكة والبوار وهي الدّاء العياء. وكيف يمكنه تقوية سلطة العرب ومقاومة تيار الشعوبية التي تحاول طمس ذاتهم بينما يُعتبر التفاخر مدعاة للتفرقة. والعجب كل العجب من كاتب سياسي يتوق الى الوحدة فيسلك إليها أحيانا طريقا تؤدّي الى التفرقة وهذا ما حمل المؤرخين ومن اعتنى بأبي عثمان من بين الأدباء القدامى وبعض الدّارسين المعاصرين الذين لم يستقصوا الدّرس العلميّ الصحيح على أن يلاحظوا في مذهبه السياسيّ تناقضا وانحرافات مستمرة عن هدفه المنشود وهو الدّفاع عن كيان العرب والعمل على تقوية سلطتهم. وما ذاك إلا تناقض ظاهري.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد يذهب بك التسرّع الى الجزم بأنّ المسعودي وابن قتيبة قد أصابا عندما رميا الجاحظ بمناصرة الشعوبية وبالحطّ من شأن العرب وبالحرص على تفتيت وحدتهم (6) !

---

(2) أنظر القائمة في عناوين كتب الجاحظ وتواريخ تأليفها لـ « شارل بلات » وانظر مقدمة كتاب « الحيوان »

Ch. Pellat, Gahiziana III. Essai d'inventaire de l'œuvre Gahizienne, Arabica T. III, Mai 1956, p. 157.

(3) حسن السندوبي — رسائل الجاحظ — ط. القاهرة 1352 هـ. 1933 م.

(4) الجاحظ « رسالة في بني أمية » ط. حسن السندوبي (مجموع رسائل) القاهرة 1933 ص 300.

(5) نفس المصدر ص. 299.

(6) أنظر مقالنا — مع الجاحظ السياسي — الفكر، افريل 1961.

إلا أنك متى عدت الى مؤلفات صاحبنا بالدّرس والتّمحيص تبينت أن قسما كبيرا منها يستجيب لدوافع سياسية حكومية في زمنه وأنّ غرض الجاحظ من تأليفها انما هو تقوية السلطة المركزية. وقد فطن لذلك المستشرق « شارل بلات » في دراسته القيمة « الوسط البصري وتكوين الجاحظ » (7) وفي مقال عن « الجاحظ في بغداد وسامرا » ظهر في مجلة الدّراسات الشرقية(8).

ومن المرجّح أنّ كتاب « فضل هاشم على عبد شمس » الذي سأشتغل بتحليله ناشىء عن رغبة حكومية فيه شأنه في ذلك شأن كتب الجاحظ في الإمامة اذ أوعز له بكتابتها المأمون عن طريق اليزيدي فكانت سبب تقريبه من البلاط. فها هو يقول : ولما قرأ المأمون كتبي في الإمامة فوجدها على ما أمر به، وصرت إليه وقد كان أمر اليزيدي بالنّظر فيها ليخبره عنها قال لي : قد كان بعض من يُرتضى عقله ويُصدّق خبره خبرنا عن هذه الكتب بإحكام الصنعة وكثرة الفائدة، فقلنا له : قد تُربي الصفة على العيان، فلما رأيتها رأيت العيان قد أربى على الصفة، فلمّا فليتها أربى الفلي على العيان كما أربى العيان على الصفة »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويحسن لمعرفة الأسباب التي دفعت الجاحظ الى تأليف كتاب « فضل هاشم على عبد شمس » أن أقوم بتحليله وأبينَ مجمل رأي صاحبنا في مفاخرة بين إخوة أصبحوا أعداء وأرسل على هذا النص أنوارا من رسالة « في بني أمية » ومن وثائق أخرى لكاتبنا ولمؤرخين قدامى وأصل بعضها ببعض حتى تحصل في الذهن عن مذهبه السياسي وعن موقفه تجاه العرب ودولة بني العبّاس صورة شاملة لا تناقض فيها.

---

(7) Ch. Pellat « Le Milieu Basrien et La Formation De Gàhiz », Adrien-Maisonneuve, Paris 1953.

وانظر ترجمة ابراهيم الكيلاني بعنوان « الجاحظ » ط. دمشق 1961 ومقال « بلات » الملحق بهذه الترجمة.

(8) الجاحظ « البيان والتبيين » ط. حسن السّندوبي، القاهرة 1926 — 1927 ج. 3 ص. 223.

تحليل كتاب «فضل هاشم على عبد شمس»:

ففي الكتاب ستّ مراحل. يذكر الجاحظ في مرحلة أولى مناقب هاشم وفضلهم على عبد شمس في الجاهلية والإسلام (ص 67 — 92) ومن أوّل وهلة ينكشف تحيزه للهاشميين — في الردّ على عبد شمس، فاقرأ قوله: «قال أبو عثمان: وشرف هاشم متصل من حيث عَدَدْتَ كان الشرف معه كابرا عن كابر وليس بنو عبد شمس كذلك. فإنّ الحكم بن أبي العاص كان عاريا في الإسلام، ولم يكن له سناء في الجاهلية. وأمّا أمية فلم يكن في نفسه هناك، وإنما رفعه أبوه وكان مضعوفا وكان صاحب عهار» (ص 74) وقد أحبّ أبو عثمان حسب قوله أن لا يحتجّ على بني عبد شمس إلا «بالموجود في القرآن الحكيم والمشهور في الشعر القديم الظاهر على السنة الخاصة والعامة ورواة الاخبار وحُمّال الآثار» (ص 70).

فمما ورد في الاخبار خصال الشرف في مكة وهي اللواء والندوة والسقاية والرفادة وزمزم والحجابة وكانت «مقسومة في الجاهلية لبني هاشم وعبد الدّار وعبد العزى دون بني عبد شمس» ولكنّ الجاحظ يستدرك ليثبت «أنّ معظم ذلك صار شرفه في الإسلام الى بني هاشم» (ص 67).

وهاشم عند أبي عثمان لقب كريم غلب على اسم عمرو سيد عبد مناف لانه هشم الخبز ثريدا لقومه فأطعمهم من جوع.

وممّا هو مذكور في القرآن إيلاف قريش والإيلاف رحلة الشتاء والصيف التي أخصبت بها قريش وأوّل من أخذ لها الإيلاف هاشم بن عبد مناف (ص 70).

ومن وثائق نُبل الهاشميين في الجاهلية يذكر أبو عثمان «حلف الفضول» الذى شهده الرسول عليه السّلام وهو غلام وكان بنو هاشم سببه، وينعتّه بأنه أشرف حلف كان في العرب قبل الإسلام، فقد عقده بنو هاشم وبنو عبد المطلب وبنو أسد بن عبد العزى وبنو زهرة وبنو تيم بن مرة دون بني عبد شمس وتحالفوا على مناصرة المظلوم «حتى يؤدوا اليه حقه... وعلى التآسي في المعاش والتسالم بالمال» (ص 72).

وفضلا عن هذه المناقب كلها فإنّ الرسول من هاشم «فمن

يناهض أو يناضل رجالا ولدوا محمدا صلى الله عليه وسلم ؟ »
(ص 70).

ويفيدك الجاحظ بهذا الاستفهام الإنكاري أيما افادة فتشتم منه قيام حركة سياسية مناهضة للعباسيين الهاشميين يتزعمها أنصار حزب الامويين هدفها الإطاحة بملك بني العباس فيتصدّى صاحبنا لمقاومتها بقلمه ويقول إنّ الامويين انتزعوا الملك من هاشم بالبطش والحيلة : « ويفخر بنو العبّاس على بني مروان وهاشم على عبد شمس بأنّ الملك كان في أيديهم فانتزعوه منهم وغلبوهم عليه بالبطش الشديد وبالحيلة اللطيفة » (ص 81).

ويصل الجاحظ تدريجيا الى غرضه الاصلي من تأليف الكتاب ألا وهو الذود عن دولة بني العبّاس فتصير المفاخرات كلها تحوم حول الخلافة. فأقرأ قوله : فإن قالت أمية لنا الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصي، أربعة خلفاء في نسق قلنا لهم : ولبني هاشم : هارون الواثق بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي ابن عبد الله المنصور بن محمد الكامل بن علي السجاد... وليس منهم الا خليفة أو موضع للخلافة أو سيد في قديم الدّهر متبع أو ناسك مقدّم أو فقيه بارع أو حليم وليس هذا لاحد سواهم، ومنهم خمسة خلفاء في نسق وهم أكثر مما عدّته الاموية » (ص 76 — 77).

والرأي عنده أنّ العبّاسيين أحقّ النّاس بالخلافة لان « ملكهم أكثر ومدّته أطول » ولانّهم « ملكوا بالميراث وبحقّ العصبة والعمومة » (ص 77) ومن الملاحظ أنّه ألف رسالة « في العبّاسية » للاحتجاج لحقّ فاطمة ورهطها من بني هاشم في ورث الرّسول فقال : ولقد كانت (فاطمة) قالت له (لابي بكر) حين أتته مطالبة بحقها ومحتجّة لرهطها : من يرثك يا أبا بكر إذا متّ ؟ قال : أهلي وولدي، قالت : فما بالنا لا نرثُ النبيّ صلى الله عليه وسلم ؟ فلما منعها ميراثها وبخسها حقّها... ووجدت نشوة الضعف وقلة النّاصر قالت : والله لادعون الله عليك قال : والله لا أهجرك أبدا » (9) ويضيف

(9) الجاحظ — من كتابه « في العباسية » مجموع رسائل — تحقيق حسن السندوبي، ط. القاهرة 1933 ص 300 — 301

الجاحظ قوله : « إنّ في ترك التّكير على فاطمة دليلا على صواب طلبها » فيتضح بما استنتجه من هذا الحوار موقفه من الميراث. فقد أقام نظام الافضلية بين الخلفاء الرّاشدين باعتباره عليا أولاهم بالخلافة. وقد تظنّ أنّه ينتصر للطّالبيين شيعة علي لِمَا تعلمُ من عطفه وعطف المعتزلة عامة على الزّيدية فرقة الشيعة المعتدلين. غير أنّه في الحقيقة يتستّر وراءهم ويستغل حججهم التي تلائم مذهبه الدّيني ليكاثرَ بها بني أميّة فينكفئون مكثورين وقد قطع بينهم وبين الخلافة كلّ سبب. فأقرأ لمزيد تيقن من ذلك قوله في الرّدّ على بني أميّة الذين ادّعوا أنّ الخلافة حقّ من حقوقهم بموجب انتسابهم الى قريش : « وإنّ أسبابهم (بني هاشم) غير أسباب بني مروان... إلا أن يقولوا انّا من قريش فيساووا في الإسم قريش الظواهر لانّ

رواية الرّاوي الايمة من قريش واقعة على كل قريش واسباب الخلافة معروفة وما يدّعيه كلّ جيل معلوم والى ذلك قد ذهب النّاس فمنهم من ادّعاه لعليّ لاجتماع القرابة والسّابقة والوصية. فإن كان الامر كذلك فليس لآل ابي سفيان ولا لآل مروان فيها دعوى، وإن كانت إنّما تنال بالوراثة وتستحقّ بالعمومة وتستوجب بحقّ العصبة (وهذه حجج العباسيين) فليس لهم أيضا فيها دعوى، وإن كانت لا تنال إلا بالسوابق والاعمال والجهاد، فليس لهم في ذلك قدم مذكور ولا يوم مشهور » (ص 77).

وهكذا لا يترك لهم متنفّسا ولا سببا به يستحقّون الخلافة بل يعتبرهم مغتصبين جبابرة أعملوا السيف في الطّالبيين وعاملوهم بأقسى ما يعامل الكفرة فـ « سمّوا الحسن وقتلوا الحسين وحملوا النساء على الاقتاب حواسر وكشفوا عن عورة علي بن الحسين حين أشكل عليهم بلوغه كما يصنع بذراري المشركين إذا دخلت دورُهم عنوة » (ص 78) و« أكلت هند كبد حمزة فمنهم آكلة الاكباد ومنهم كهف النفاق ومنهم من نقر ثنيتي الحسين بالقضيب... » (ص 79).

وتنقلب اللهجة دينية فتبلغ أقسى حدّ عندما يُلصق أبو عثمان ببني أميّة تهمة الكفر، فيلغيهم تماما من صفوف المسلمين وبالاحرى يأبى أن يكونوا أيمّتهم. أمّا بنو العبّاس فهم المقدّمون في الدّعوة الإسلامية وفي الخلافة لانّهم أعرق النّاس في الإيمان. ألا ترى أنّ أبا عثمان لا

يتردّد في اعتبار عبد الملك وهو أعظم خليفة أموي و« أبو هؤلاء الملوك الذين تفتخر الاموية بهم » أعظم كافر. (ص (80) ويخاطب بني أمية بقوله : « فأنتم أعرق النّاس في الكفر ونحن أعرق النّاس في الإيمان ولا يكون أمير المؤمنين إلا أولاهم بالإيمان وأقدمهم فيه » (ص 80).

ويفخر بنو العبّاس على بني مروان بوفرة نسلهم (ص 82) لانّ الغلبة بالكثرة في القديم، ويفخرون بنُبل رأيهم وبصواب قولهم وبالتبريز في الفقه والعلم بالتأويل وبمعرفة التنزيل (ص 84) كما يفخرون بالبسالة والنجدة (ص 85 — 87) وبفضلهم في الجود والسّماح « فإنّ نساء خلفاء بني العبّاس أكثر معروفا من رجال بني أميّة » (ص 88).

وتهمنا ملاحظة الجاحظ الاخرى « فأما ملوك الاموية فليس منهم إلا من كان يبخل على الطّعام » (ص 88) فهي تحملنا على الإعتقاد بأنه كان يخدم غرضا سياسيا زيادة عن الفائدة الادبية لمّا خصّص بعض الفصول من « كتاب البخلاء » لوصف بخل خلفاء بني أمية على الطعام وقرنه ببخل اهل خراسان.

ولم يعط هؤلاء المال في رأيه إلا ليُصانعوا عن دولتهم وليشتروا به ملكهم وليحصنوا به عن نفوسهم، ويوازي بين صنائع بني مروان ومعروف بني العبّاس فيقول : « ونحن لم نَعُدّ قط ما أعطى خلفاء بني هاشم قوّادهم وكتابهم وبني عمهم جودا، ولو ذكرت معروف أم جعفر وحدها لأتى ذلك على جميع صنائع بني مروان وذلك معروف. »(ص 88).

ويؤكد التّاريخ أنّ الامويين اشتروا أعداءهم بالمال ليُسالموهم فأغدقوا الاموال على الحسن وعلى سكينة بنت الحسين بيد أنهم أطاحوا برؤوس الطالبيين والخوارج كلما شقّوا عصا الطاعة في وجههم.

حتّى عُمَرُ بن عبد العزيز النّاسك التّقِيّ الورع فهو عنده « أعور بين عميان » والذى حسن أمره أنّ النّاس كانوا قبله من الظلم والجور والتّهاوُن بالإسلام في أمر صغر في جنبه ما عاينوا منه وألفوه عليه، فجعلوه بما نقص من تلك الامور الفظيعة في عداد الايمة الراشدين وحسبُك من ذلك أنّهم كانوا يلعنون عليا على منابرهم فلمّا نهى عمر عن ذلك عُدّ مُحسنا ». (ص 91) وعبد الملك هو الذى أمر بسبّ عليّ على المنابر وجدير بالذّكر أنّ العبّاسيين الهاشميين لمّا دالت دولة بني أميّة ردّوا الفعل فرموا معاوية بالفجور وحملوا العامة على سبه وستتعرض لذلك.

فهذا ما ذكرته العبّاسية لانفسها على لسان الجاحظ في القسم الاول من الرسالة.

أمّا القسم الثاني ففيه عرض لجملة من مفاخر بني أميّة (ص 93-103) فيفخرون بدهاء قادتهم في السياسة وهذه ملاحظة طريفة يسجلها الجاحظ فيقولون إنّ لهم « من نوادر الرّجال في العقل والدهاء والارب والنكر ما ليس لاحد » (ص 93) ويحصرون الدّهاء في أربعة رجال : معاوية وزياد وعمرو بن العاص والمغيرة.

ويفخر بنو أميّة على بني العبّاس بالبأس والشجاعة (ص 93) وبالفتوح العظام (ص 93 — 95) وبفصاحتهم (ص 96) كما يفخرون بتقاهم وزهدهم ليردّوا على تهمة الكفر التي ألصقها العبّاسيون بهم : « قالوا فنحن نعد من الصّلاح والفضل ما سمعتموه وما لم نذكره وأنتم تقولون : أمية هي الشجرة الملعونة في القرآن وزعمتم أنّ الشجرة الخبيثة لا تثمر الطيب كما أنّ الطيب لا يثمر الخبيث. فإن كان الامر كما تقولون فعثمان بن عفان ثمرة خبيثة وينبغي أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم دفع ابنتيه الى خبيث وكذلك يزيد بن أبي سفيان صاحب مقدمة أبي بكر الصديق على جيوش الشام... » (ص 99).

ويفخر بنو أمية بطول خلافة معاوية وبجمالهم وكمالهم محاولين بدورهم الوصول الى نتيجة كونهم مقدّمين في الخلافة.

ويعود الجاحظ في قسم ثالث من الكتاب (ص 103 — 110) الى ما عدّته الاموية لانفسها من المناقب ويدحضها جميعا على لسان هاشم.

فممّا عدّته الاموية فخرا أنّ لها من نوادر الرّجال في العقل والدهاء ما ليس لأحد، والدهاء والمكر على حد قول ابي عثمان « من اسماء فجار العقلاء وليس من أسماء أهل الصّواب في الرّأي من العقلاء والابرار » (ص 103) وهكذا يهدّم شخصية معاوية التي احيطت في عصره كما يبدو في النص بهالة من الإكبار. ويردّ العبّاسيون على ما ذكرته الاموية لأنفسها ويقابلون حجّة بحجّة ويقرعون برهانا ببرهان وتطغي العاطفة في أغلب الاحيان على الدّليل القاطع، فهاهم يقولون : « وأمّا ما ذكرتم من جود سعيد بن العاص، وعبد الله بن عامر، فأين أنتم من جود عبد الله بن جعفر وعبيد الله بن العبّاس والحسن بن علي ؟ وأين أنتم من جود خلفاء بني العبّاس... بل لعلّ جود بعض صنائع هؤلاء كبني برمك أعظم من ... جميع ما جاء به خلفاء بني أميّة »

(ص 103 — 104) « وأما ما ذكرتم من حلم معاوية فلو شئنا أن نجعل جميع ساداتنا حلماء لكانوا محتملين لذلك » (ص 104) .

وتستمرّ الموازنة على هذا المنوال بين هاشم وبني عبد شمس في الخطابة والفصاحة والعلم والادب والنّسب (ص 105) وفي الزّهد والتّقوى (ص 105) وفي البسالة والشجاعة (ص 106) والفخر بالجمال والكمال (ص 107).

وتنهي هاشم مفاخرتها بأنّ الرّسول الهاشمي صلى الله عليه وسلم : « مُخْرِس ٌ لكلّ مُفاخر وغالب لكل مُنافر » (ص 111).

وأراد الجاحظ بإيراد هذه المَفْخَرَة إخراس بني أميّة، فأقرّوا في القسم الرّابع من الكتاب (ص 111 — 112) بتقدّم هاشم عليهم في الإسلام واقتصروا على المطالبة بالتّسوية بين البيتين من قريش في الجاهلية فخسروا المساجَلة. فاقرأ لتتيقّن من ذلك قولهم : « نحن لا ننكر فخر بني هاشم وفضلهم في الإسلام ولكنْ لا فَرْقَ بيننا في الجاهلية إذ كان النّاس في ذلك الدّهر لا يقولون : هاشم وعبد شمس، ولا هاشم وامية، بل كانوا لا يزيدون في الجميع على عبد مناف » (ص 111). ومن الغريب انّ بني أميّة انقلبوا دعاة توفيق بين البيتين بعدما كانوا دعاة تفوّق على بني العبّاس. قالوا : « وكيف يفرّقون بين هاشم وعبد شمس وهما أخوان لاب وأمّ... ونحن أكفاء وأمرنا واحد». (ص111)

وتنتهي الرّسالة كما وصلتنا بانتصار بني العبّاس في المُسَاجَلة (ص 112 — 116). فاقرأ لتتيقن من أنّهم لم يرضوا بالتّسوية بينهم وبين أميّة بل أعلنوا تفوّقهم عليها وتقدّمهم في الخلافة قولهم : « ليس لكم أن تزعموا أنّكم أكفاؤنا من كلّ وجه وان كنّا قد زوّجناكم وساويناكم في بعض الآباء والاجداد » (ص 112).

التفاخر مفرق :

وأنت ترى الجاحظ يحاول التّوفيق في رسالته الى الفتح بن خاقان « في مناقب الاتراك وعامة جند الخلافة » (10) بين البنويين

(10) الجاحظ رسالة في مناقب الاتراك وعامة جند الخلافة » ط. فان فلوتن (V. Vloten) — بريل 1903.

ARCHIVE
http://archive.sakhrit.com

والموالي والخراسانيين والاتراك والعرب، ثم تجده في كتاب « فضل هاشم على عبد شمس » يُفرّق بين بيتين من قريش وينشىء نظام التّفاضل بين أقارب، وهو يعلم أنّ الإنسان لا يصل الى اظهار فضل نفسه « الا بإظهار نقص أخيه وولده » (11) ويرى أنّ « القليل الذي يجمع خير من الكثير الذي يفرّق » (11).

غير أنّك متى استقصيت الدّرس تبيّنْتَ أن أبا عثمان لم ينشىء نظام التّفاضل بين العرب ولم يستغلّ العصبية إلا لغرض سياسي وهو الاحتجاج لافضلية خلافة بني العبّاس. وليس غرضه في الحقيقة اسقاط الشرف من البيت الاموي حسب اعترافه : « ولسنا نقول إنّ عبد شمس لم يكن شريفا في نفسه » ويستدرك ليُثبت أنّ « الشرف يتفاضل » (12).

فلما تكاملت معاني الشرف في العباسيين الهاشميين وكانت خصالهم متساوية وخلالهم مُشرفة وأسبابهم غالبة استحقوا في رأيه السيادة بدون منازع ولم يوصفوا إلا بها. ألا ترى أنهم كسبوا أمارات الملك التي ضبطها أبو عثمان المفكر السياسي في « كتاب الحيوان » حين قال : « وإذا كان الرّجل أبرع النّاس براعة وأجمعهم لخصال الشرف ثم كانت كلّ خصلة مساوية لاختها في التمام ولم تغلب عليه خصلة واحدة فإنّ هذا الرّجل لا يكاد يوصف إلا بالسيادة والرياسة » (13) ويشاطر الجاحظ رأي أستاذه النظام القائل بأنّ الإمام يجب أن يكون الافضل بين أهل زمانه وقد نبّه الى ذلك البغدادي في كتابه « أصول الدّين » فقال : وقال النظام والجاحظ إنّ الإمامة لا يستحقها إلا الافضل ولا يجوز صرفها الى المفضول » (14).

تَجَلى لك – أرْشدك الله أمْرَك – أنّ أبا عثمان لم يَحِدْ عن

(11) مناقب الاتراك ص 56

(12) فصل هاشم ص 70

(13) كتاب الحيوان تحقيق عبد السّلام هارون، ط. القاهرة 1943 ج 2 ص 91.

(14) ورد قول البغدادي في كتاب : محمد عبد الهادي أبو ريدة ابراهيم بن سيّار النظام وآراؤه الكلامية الفلسفية » ط. القاهرة 1946 ص 176.

http://Archivebeta.Sakhrit.com

مَوْقِفِه تجاه العَبَّاسيين. فهو الذائد عن ملكهم المنتصب لدحض هجومات بني أمية أعدائهم، وأيقنت ـ أبْعَدَ الله عنك الشبهة ـ أنّ الجاحظ أنشأ نظام الافضلية بين هاشم وعبد شمس لانّ الخلافة كانت يومئذ في أيدي العبّاسيين الهاشميين.

ضبط تاريخ تأليف كتاب « فضل هاشم على عبد شمس » وصلته بمحنة خلق القرآن :

وقد تسألني عن الظروف التي أحاطت بكتابة « فضل هاشم على عبد شمس » فعساك تعلم أنّ أبا عثمان عاش ما يقرب من قرْن (158 — 255 هـ.) في عصر كثرت فيه التقلبات والمحن. فكان موقفه تجاه الامويين الذين أفل نجمهم يومئذ في المشرق، والعلويين الذين ثاروا مرارا خاضعا لتأثير الظروف. وكذلك كان موقفه تجاه الاجناس البشرية الاخرى التي يتكوّن منها المجتمع الإسلامي كالاتراك والزّنج والفرس وغيرهم.

فلا سبيل إذن الى أن أجيبك عن سؤالك إلا إذا تمكنت من ضبط تاريخ تأليف كتابه المذكور. فقد اعتبره « شارل بلات » (15) سابقا لسنة 232 هـ. ويمكنك ضبط تاريخ تأليفه بالاعتماد على قول أبي عثمان: « وتفخر عليهم بنو هاشم بأنّ سني ملكهم أكثر ومدّته أطول فإنه قد بلغت مدّة ملكهم الى اليوم أربعا وتسعين سنة » (16) وإذا أضفت أربعا وتسعين سنة الى تاريخ قيام دولة بني العبّاس في عام اثنين وثلاثين ومائة عرفت أنه كتب « فضل هاشم على عبد شمس » في أواخر خلافة المعتصم سنة مائتين وست وعشرين أي في زمن محنة خلق القرآن. وجدير بالذّكر أنّ هذا الخليفة اتّبع سياسة سلفه المأمون عندما نادى بالاعتزال مذهبا رسميا للدولة وأمر قاضي قضاته ابنَ أبي دؤاد المعلمين بتعليم الصبيان في الكتاب مع القرآن : القرآن مخلوق. وفي عهده ضرب الامام أحمد بن حنبل « ثمانية وثلاثين سوطا ليقول بخلق القرآن » (17).

(15) Ch. Pellat, Gàhiziana III.Essai d'inventaire de l'œuvre Gàhizienne, Arabica, T. III, Mai 1956, p. 157.

(16) الجاحظ « فضل هاشم على عبد شمس » (في مجموع رسائل حسن السندوبي) ص 77.

(17) المسعودي « مروج الذهب » ط. دار الرّجاء بعابدين، مصر. ج 4 ص 7.

رسالة للجاحظ المعتزلي في المحنة:

ومن أهمّ المصادر المتعلقة بالمحنة والتي تمثل وجهة نظر المعتزلة، رسالة صغيرة للجاحظ يُظنّ أنّها بقيّة من كتاب له يُسمّى « فضيلة المعتزلة » نُشرتْ على هامش طبعة قديمة لكتاب الكامل للمبرّد (18).

ففيها حكى أبو عثمان ما جرى يوم امتحان أحمد بن حنبل من نقاش بين الإمام وبين أحمد بن أبي دؤاد قاضي القضاة وأكد في غير ما موضع أنّ الإمام استمسك برأيه في قدم القرآن ووصف استمساكه بالعناد والجهل. فها هو أحمد بن أبي دؤاد يحاول اقناعه بمحضر المعتصم بأنّ القرآن حديث غير قديم وابن حنبل يراوغه : « وكان آخر ما عاند فيه وأنكر الحقّ وهو يراه أنّ أحمد بن أبي دؤاد قال له : أليس لا شيء إلا قديم أوحديث ؟ قال : نعم. قال : فالقرآن إذا حديث ؟ قال : ليس أنا متكلم. وكذلك كان يصنع في جميع مسائله، حتى كان يجيبه في كلّ ما سأل عنه حتّى اذا بلغ المنخنق، والموضع الذى ان قال فيه كلمة واحدة، برىء منه أصحابه، قال : ليس أنا متكلم. فلا هو قال في أول الامر : لا علم لي بالكلام، ولا هو حين تكلم فبلغ موضع ظهور الحجة، خضع للحقّ، فمقته الخليفة وقال عند ذلك : أفّ لهذا الجاهل مرة والمعاند مرة ». (19).

http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن الغريب أنّ الجاحظ لما عرض لموضوع التقية نسب للامام أحمد اقراره بخلق القرآن بيد أنّ المصادر القديمة باستثناء تاريخ اليعقوبي (19) المؤرخ الشيعي أجمعت على أنّ ابن حنبل استمسك برأيه. قال أبو عثمان : « وقد كان صاحبكم هذا (أي الإمام أحمد) يقول : لا تقيّة إلا في دار الشرْك، فلو كان ما أقرّ به من خلق القرآن، كان منه على وجه التقية، فقد أعملها في دار الإسلام. وقد أكذب نفسه وان كان ما أقرّ به على الصحة والحقيقة فلستم منه وليس منكم ».

(18) هامش « الكامل » للمبرّد ط. عبيد الله بن الحسن، القاهرة 1324 هـ. ج من ص 131 الى ص 139.

(19) تاريخ اليعقوبي، ط. النجف سنة 1958 هـ. ص 198
وانظر تحقيق عبد العزيز عبد الحقّ في مقدمة ترجمته لكتاب « احمد بن حنبل والمحنة » لولتر — ملفيل باطون. ط. دار الهلال القاهرة 1958.

ولا يستغرب صدور هذا الزّعم باقرار أحمد بن حنبل بخلق القرآن من رجل كالجاحظ عُرف بإخلاصه للاعتزال الى حدّ التّفرّد فيه بمذهب خاص نُسبَ اليه وهو الجاحظية كما عُرف بمساندته المطلقة لسياسة الدّولةَ العبّاسية تجاه فقهاء أعلنوا عدم رضاهم بها وصرحوا بأنه لا تقية إلا في دار الشرْك.

وفي الحقيقة لم ينتصر المعتصم للمعتزلة في نزاعهم مع أهل الحديث حول مسألة خلق القرآن إلا لولائهم للعبّاسيين ولمقاومتهم أعداء دولتهم من شيعة مخلصين لسلالة عليّ ونابتة متعلقين بمذهب السنة وتعاليم الإمام ابن حنبل وهم عامة الشعب...

وقد اضطهد المأمون والمعتصم والواثق النابتة وحملوهم على القول بخلق القرآن ثمّ نادوا ببراءة الذمة من « أحد من النّاس ذكر معاوية بخير أو قدّمه على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم » (20). وأرغموا العامة على سبه و« أنْشئت الكتب في الآفاق بلعنه على المنابر فاعظم الناس ذلك واكبروه واضطربت العامة » (21) وتفهم من الوثائق القديمة التي حملت صدى المحنة ان رد فعل العوام واهل الحديث على انحراف العبّاسيين عن مذهب السنة كان تمجيد الأمويين ومعاوية بصفة خاصة؟

ففي تلك الظروف قامت حركة دينيّة سياسية مناهضة لدولة بني العباس مؤيدة لمذهب الإمام أحمد بن حنبل الذي سُجن في سجن العوام ببغداد وضرب في بلاط المعتصم سنة تسع عشرة ومائتين ثمانية وثلاثين سوطا. ووجدت هذه الحركة انصارا من بين العوام وتزعمهم حسب ما يبدو جماعة من المتكلمين السنيين والمحدّثين ركزوا جدلهم على مسألة قدم القرآن وعلى الإشادة خاصة بذكر معاوية ولم يصدر عنهم ذلك التمجيد بدافع الاخلاص للأمويين وانما وجدوا في معاوية شخصية تاريخية فذة فتستّروا وراءه لتوجيه ضربات لدولة بني العبّاس حين اتخذت الاعتزال مذهبا رسميا وقاومت أهل الحديث وامتحنت امامهم. وكان ردّ فعل العوام عنيفا ناهيك أنهم اضطربوا في أرباض بغداد وتعدّدت ثوراتهم فاضطرّ الخلفاء الى تعديل سياستهم كما حدث في عهد المأمون يوم أنشئت الكتب الى الآفاق بلعن معاوية على المنابر فـ« أعظم النّاس ذلك وأكبروه

(20) المسعودي « مروج الذّهب » ج 3 ص 361.
(21) المصدر السّابق ج 3 ص 362.

واضطربت العامة فأشير عليه بترك ذلك فاعرض عما كان همّ به » (22) واعتقادى أنّ كتاب « فضل هاشم على عبد شمس يدخل في إطار تاريخ المحنة ويتضمن ردّ فعل السلطة المركزية على محاولة النّابتة بَعثَ حزب الاموية في المشرق.

ووصلتنا رسالة قصيرة في تاريخ المحنة تمثل وجهة النّظر السنية وهي « ذكر محنة أبي عبد الله أحمد بن حنبل » (23) كتبها ابن عمّه حنبل بن اسحاق بن حنبل المتوفى سنة 273 ه. وقد أتت هذه الرّسالة بتفصيلات على جانب كبير من الخطر والاهمية تفيدنا أنّ نفرا من الفقهاء فكروا في الخروج على الخليفة واقترحوا ذلك على الإمام أحمد بن حنبل فعارضهم و « نصحهم بألا يخلعوا يدا من طاعة وألا يعملوا على سفك دمائهم وسفك دماء المسلمين » (24).

وما كان المأمون والمعتصم والواثق ليأخذوا أهل الحديث بالشدة أو ليعملوا السيف في اعناق بعضهم لوْ لم يثبت عندهم أنّهم يمثلون خطرا على دولتهم. وأغلب الظن أن الإمام أحمد لم يتورط في المؤامرات التي حيكت ضدّ الدولة، ومن أجل ذلك عذّبَ ولكن لم يُسْفك دمُه.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مؤامرة لقلب دولة بني العباس :

ومن الخطإ كما قلنا اعتبار « أهل الحديث » حين نسجوا أسطورة حول معاوية (25) مناصرين مخلصين لبني أميّة. ألا ترى ان جماعة منهم حين دبّروا مؤامرة لقلب دولة بني العباس في خلافة الواثق

(22) نفس المصدر ج 3 ص 361 — 362.
(23) توجد نسختان خطيتان منها احداهما في المكتبة التيمورية والاخرى في المكتبة الظاهرية بدمشق أشار إليهما عبد العزيز عبد الحق في مقدّمة ترجمة كتاب « احمد بن حنبل والمحنة » لولتر باتون.
(24) أنظر مقدمة عبد العزيز عبد الحق لكتاب « احمد بن حنبل والمحنة » ص 20.
(25) أنظر :

Ch. Pellat « Le Culte de Mu àwiya au IIIe siècle » in Studia Islamica, T. VI p. 53-66.

لم يختاروا رجلا من بني عبد شمس وانّما حركوا فقيها مروزيا من أهل الحديث ينتمي لخزاعة وقد يكون خزاعيا بالولاء وهو أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي ومالك بن الهيثم أحد نقباء بني العبّاس وكان ابنه أحمد يغشاه أصحاب الحديث كيحيى بن معين وابن الدّروقي وابن خيثمة وكان يظهر المباينة لمن يقول القرآن مخلوق » (26) عملا بمبدإ الإمام أحمد الذى أشار إليه الجاحظ وهو « لا تقية إلا في دار الشرك » وأخذ أهل الحديث عليه البيعة و« رجوا استجابة العامة له إذا هو تحرّك » (26) فأجابهم أحمد ابن نصر الخزاعي وأعانهم ماديا ومعنويا وكان يسعى له في دعاء الناس رجلان هما أبو هارون السراج وطالب أعطيا كلّ رجل من العوامّ ببغداد دينارا و« وأوعداهم ليلة يضربون فيها الطبل للاجتماع في صبيحتها للوثوب بالسلطان » (26) ولكن كؤوس النبيذ المُسْكر دارت بين جماعة من المتآمرين « فلما ثملوا ضربوا بالطبل ليلة الإربعاء قبل الموعد بليلة وكان الموعد لذلك ليلة الخميس في شعبان سنة 231... وهم يحسبونها ليلة الخميس التي اتّعدوا لها فأكثروا ضرب الطبل فلم يجبهم أحد » (27) وكشف أمرهم، كشفه رجل من السوق اسمه « عيسى الاعور » لمّاَ هدّده غلامُ صاحب الشرطة ببغداد وعُثر على راية المتآمرين إذ كانت لهم راية خضراء فيها حمرة وقبض على أحمد بن نصر رأس المؤامرة فقتله الواثق بيده وأمر بتعليق رأسه وجُثته.

ولمّا أفضت الخلافة الى المتوكل أنزلت جُثّةُ نَصْر ودُفعت الى أهله لتُدفن. وينبغي أن تعلم أنّ هذا الخليفة شعر بخطرٍ تضخّم صفوف النّابتة المتمسّكين بمذهب الإمام أحمد بن حنبل والمعارضين دوْلة بني العبّاس المنحرفة في وقت من الاوقات عن السُنّة. ف « أمر بترك النّظر والمباحثة في الجدال والترك لما كان عليه النّاس في

(26) منتخبات من الجزء الثالث من تاريخ الامم والملوك لابي جعفر محمد بن جرير الطبري (من سنة 218 هـ. الى سنة 279 هـ.) اعتنى بالتقاطها ونشرها ماريوس كانار (M. Canard) ط. الجزائر 1951 ص 41.

(27) نفس المصدر ص 42.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أيّـام المعتصم والـواثق وأمـر النّاس بالتّسليم والتّقليـد وأمـر الشيـوخ المحدثيـن بالتحديـث واظهـار السنّـة والجماعة » (28).

ليس من شك بعد هـذا العرض لاحـداث هامـة من تـاريخ المحنـة في أنّ بعض الوثائق التّـاريخيـة تمكـن الباحث بعد فَحْصهـا واستنطـاقهـا من ارسـال أنـوار على مـا ورد غـامضـا في مـؤلفـات أبي عثمـان ذات الصبغـة السيـاسيـة والعكس صحيـح.

ها أنّـك وَقفتَ الآن على كثيـر من أسـرار حزب النابتـة الذي استسْلمَ لإرادتـه المتوكل وقـاومـه الـواثق وقبلـه المعتصم والمأمون. ويهمّـك ها هنا موقف المعتصم تجاهـه. فلئـن التجأ مِنْ حيـن لآخـر الى القـوّة لـكبت خصـومـه من شيعـة ونابتـة، واعتمـد على المرتزقـة الاتـــراك لتدعيم ملكه فإنـه فسحَ المَجَال للمناقشـة الحـُرّة فالتجأ الى مفكـر سياسي وأديـب أوتي من البيـان سحـْرا كيْ يَـرُدَّ على النّابتــة الـذيـن أحاطـوا معاوية بهالـة من التّـكبيـر تُـرغب فيه العـامّــة. وكأنهم بهذا العمـل ارادوا احياء حزب الامـويـة بعد أفـول نجمـه في المشـــرق.

رسـالـة في بنـي أميـة أو النـابتـة :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وللجاحظ وثيقَـة أخرى نشرهـا حسن السندوبي تحت عنـــوان « من رسالـة في بنيَ أميـة » وعنوانهـا الاصليّ « رسالـة في النّـابتـه » (29) تمكنـك من مزيـد الاطـلاع على نشاط هـذه الطائفـة في القـرن الثالث. فقـد طلب من الجاحظ حسب ما يبـدو من خاتمـة الرّسالـة كشف النقـاب عن تعاليم النّـابتـة واهـدافهـا ودحض حججهـا فأجـاب الى الرغبـة مـلاحظـا من أول وهلـة أنّ المسلميـن في عصره ما زالـوا يحملـون دم عثمـان ولن يـزالـوا لانّـهم احتَلبوا بعثمـــان رضي الله عنـه « دمـا لا

(28) المسعودي « مروج الـذهب » ج 4 ص 37

(29) حسن السنـدوبي « رسائـل الجاحظ » ط. القاهرة 1352 هـ. 1933 م. ص 292 — 300

وانظـر :

(أ) Ch. Pellat, Gàhiziana III. Essai d'inventaire de l'œuvre Gàhizienne, Arabica, T. III, Mai 1956, p. 168.

(ب) Ch. Pellat « La Traduction de la Nàbita » de Gàhiz in A.I.E.O, Alger, X 1952 pp. 301-308.

تطير رغوته ولاتسكن فورته ولا يموت ثائره ولا يكلّ طالبه » (30) ويتوق أبوعثمان الى الوحدة ويحنّ الى عصر الإسلام الذّهبي حين كان المسلمون في عصر النبي عليه السلام وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما وفي السنين الستّ من خلافة عثمان « على التّوحيد الصحيح والإخلاص المحض مع الالفة واجتماع الكلمة على الكتاب والسنة وليس هناك عمل قبيح ولا بدعة فاشية ولا نزع يد من طاعة ولا حسد ولا غل ولا تأوّل حتّى كان الذى كان من قتل عثمان رضي الله عنه » (30) هذا الدّم تسبّب في تصديع الامّة الإسلامية التي يتوق أبو عثمان الى توحيدها في ظل الخلافة العبّاسية (31) ولم تزل « الفتن متصلة والحروب مترادفة كحرب الجمل وكوقائع صفين وكيوم النّهروان وقبل ذلك يوم الزّبوقة » (32) الى أن قتل عليّ وتخلى الحسن عن الامور لمعاوية في العام الذى سمّوه « عام الجماعة » وما كان عند أبي عثمان « عام جماعة بل كان عام فرقة وقهر وجبرية وغلبة والعام الذى تحوّلت فيه الإمامة ملكا كسرويا والخلافة منصبا قيصريا » (33) ويجري قلم أبي عثمان بثلب معاوية الذى أحاطته النّابتة أنصار الإمام أحمد بن حنبل بهالة من الإجلال. فيخرجه « من حكم الفجّار الى حكم الكفّار » ولا يتردّد في تكفير من تركوا إكفاره وذكروه بخير وعددهم كثير. ثمّ يشير الى قيام حركة سياسية دينية اتّخذت السُّنّة مذهبا وأحاطت معاوية بهالة من الإجلال واعتبرته رمزها وحثت العوام على مقاومة العبّاسيين الذين تركوا البراءة ممّن ذكره بخير. فاقرأ لتتيقن من ذلك قول أبي عثمان : وقد أربت عليهم (على كثير من عامة النّاس) نابتة عصرنا ومبتدعة دهرنا فقالت : لا تسبوه فإنّ له صحبة وسبّ معاوية بدعة ومن يبغضه فقد خالف السُّنّة. فزعمت أنّ من السنّة ترك البراءة ممن جحد السُّنّة (اشارة الى بني العبّاس) » (34) ويعتبر الجاحظ النّابتة واتباعهم كفرة ويوازي بين كفرهم وكفر بعض

(30 الجاحظ « من رسالة في النّابتة » ص 292
(31) أنظر مقالنا « مع الجاحظ السياسي » في مجلة الفكر – أفريل 1961
(32) من رسالة في بني أميّة ص 293
(33) نفس المصدر ص 294.
(34) من رسالة في بني أمية ص 294.

خلفاء بني أمية وعمالهم كيزيد الذي غزا مكة ورمى الكعبة بالمنجذيق عندما عاذ بها ابن الزّبير واستباح المدينة وأطاح برؤوس الطّالبيين، ويصرّح بأنّ « النّابتة في هذا الوجه أكفر من يزيد وأبيه وابن يزيد وأبيه » وبأنّ « تجوير النّابتي لربه وتشبيهه بخلقه أعظم من ذلك وأفظع » (35).

ويحدو به هذا التصريح الى التعرض لتعاليم النّابتة فيُطلعك على بعض مبادئهم. فمنها اعتقادهم أنّه « ملعون من قتل مؤمنا متعمدا أو متأولا » فيردّ على ما يسميه نفاقهم : « فإذا كان القاتل سلطانا جائرا أو أميرا عاصيا لم يستحلوا سبَّهُ ولا خلعه ولا نَفْيَهُ ولا عيبه وإنْ أخاف الصلحاء وقتل الفقهاء وأجاع الفقير وظلم الضعيف وعطل الحدود والثغور وشرب الخمور وأظهر الفجور » (36) يريد خلفاء بني أمية الذين اعتبرهم فاسقين على أقل تقدير ان لم يُسلم النّاس بكفرهم وبما أنّ الفاسق ملعون فـ« من نهى عن شتم الملعون (وهم النّابتة) فملعون ». ويحمل أبو عثمان مرّة أخرى على خلفاء بني أميّة بلا هوادة ولا رحمه فيكفر عبد الملك بن مروان وابنه الوليد وعاملهما الحجّاج ومولاه يزيد بن أبي مسلم غير أنّ كفرهم في رأيه لم يبلغ كفر النّابتة. وهكذا يفطن الباحث للعلاقة بين كتاب « فضل هاشم على عبد شمس » و« رسالة النّابتة » التي ألفت حوالي سنة مائتين وخمس وعشرين. (37)

وتعلم من كلام أبي عثمان أنّ زعماء النّابتة شيّدوا لانفسهم مذهبا دينيا (هو مذهب أهل السنة الحنابلة) ومذهبا سياسيا وأنهم استعملوا نفس السلاح الذى كان المعتزلة يستعملونه وهو الكلام. فكانوا يقولون مثلا : « إنّ الله يعذّب الابناء ليغيظ الآباء وإنّ الكفر والإيمان مخلوقان في الإنسان مثل العمى والبصر (38) » وقد جسموا الخالق وجعلوا له صورة وحدا وأكفروا من قال بالرّؤية على غير التجسيم والتصوير. والتّجسيم عند أبي عثمان شرك والشرك كفر أعظم من كفر من مضى في الاعمال التي هي الفسق » إشارة الى بني أمية.

(35) نفس المصدر ص 296

(36) نفس المصدر ص 296

(37) Ch. Pellat : Gàhziana III, p. 169.

(38) نفس المصدر ص 296

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثمّ تغلب على أبي عثمان نزعته الاعتزالية فيطيل الحديث عن خلق القرآن ويلاحظ أنّ النابتة « أعطوا جميع صفات الخلق ومنعوا اسم الخلق » (39).

ويفيدك أنّ نشاط النّابتة كان قويا في عصره مما زاد في تعكير الجوّ السياسي وتشتيت الامة وإفساد العقول. فها هو يقول : « وقد كانت هذه الامة لا تجاوز معاصيها الاثم والضلال إلا ما حكيت لك عن بني أمية وبني مروان وعمالهم ومن لم يدن باكفارهم حتّى نجمت هذه النوابت وتابعتها هذه العوام فصار الغالب على هذا القرن الكفر، وهو التشبيه والجبر، فصار كفرهم أعظم من كفر من مضى في الاعمال التي هي الفسق وكانوا شركاء من كفر منهم بتوليهم وترك إكفارهم » (40) كما يفيدك أنّ ولاة الامر في عصره قاوموا النّوابت وناصروا المعتزلة.

ثمّ يبدي أبو عثمان رأيه في عصره زمن المحنة فينعته بـ « الدهر الصّعب والزّمن الفاسد » (41) لكثرة البدع وانتشار العصبية « التي هلك بها عالم بعد عالم ».

ARCHIVE

ومن طريف ملاحظاته أنّ حركة النّوابت وجدت أنصارا من بين الشعوبية دعاة التّسوية والتّفوّق الذين يهدفون الى الإطاحة بسلطان العرب ويحنون الى استرجاع جنّتهم الضّائعة، فيطلق على الشعوبية اسم النّاجمة ويردفه بالنّابتة، وكأنه يحث العرب على أن يتحدوا ليتقوا شرّ عدوّهم المشترك، وأن يكفوا عن تقاتلهم. فها هو يقول : « وقد نجمت من الموالي ناجمة ونبتت منهم نابتة تزعم أنّ المولى بولائه قد صار عربيّا » (42) وقد أثار هذا الإدعاء نقمة الجاحظ فقال : « إنّ الاعجميّ لا يصير عربيا كما أنّ العربيّ لا يصير اعجميا » وبعد ذلك باسطر أضاف قوله : « وأي شيء أغيظ من أن يكون عبدك يزعم أنّه أشرف منك وهو مقرّ بأنه صار شريفا بعتقك إياه » (43) وهكذا

(39) المصدر السابق ص 297
(40) نفس المصدر ص 298 — 299
(41) ص 299
(42) ص 299
(43) ص 300

نَصَّبَ نفسه مُدافعا عن العرب جميعا فجعلهم فوق العجم بعد أن أنشأ نظام الافضلية بين العرب انفسهم خدمة لدولة بني العبّاس.

تعليل دفاع الجاحظ عن دولة بني العباس:

وللجاحظ آراء أخرى هامة في الإمامة هي بمثابة نظرية في الملك تُمَكننا من تعليل مُساندته المطلقة للخلافة العبّاسية ومزيد فهم مذهبه السياسي.

ولعله ساند خلافة بني العبّاس الهاشميين مساندة مطلقة لسبب عاطفي أيضا ويتّضح لك ذلك في قوله الموارد في رسالة « مدح النّبيذ » : « وأنا رجل من بني كنانة وللخلافة قرابة ولي فيها شفعة وهم بعد جنس وعُصبة » (44) فهو يرى بينه وبين الخلافة قرابة لانتسابه الى بني كنانة فلاغرو إن ناصر بني العبّاس وساندهم فهل تعلم أنّ أهميّة قبيلة كنانة في نظر النسّابين العرب تنحصر في كون قريش تدّعي أنها فرع منها وانّ الرّسول ينتسب إليها. ولقد لعبت كنانة دورا خطيرا في تاريخ مكة قبيل الإسلام إذ ساندت قريشا لما انتزعت الحكم بالقوّة من أيدي خزاعة ويستنتج من الوثائق القديمة أنّ كنانة كانت تعطف على بني هاشم أكثر مما كانت تعطف على عبد شمس أي بني أمية (45).

فمن المحتمل أنّ الجاحظ الفخور بانتسابه الى كنانة سواء كان كنانيّ الاصل او مولى كنانة كان يعطف هو بدوره عطفا صادقا على العبّاسيين الهاشميين أهل الحل والعقد في زمنه.

ومن المؤكد أنّه انتصر لهم مخلصا حين نادوا بالاعتزال مذهبا رسميا لدولتهم في أيّام المأمون والمعتصم والواثق ولمّا تغير اتجاه السياسة العبّاسية وعاد المتوكل الى مذهب « أهل الحديث لازم داره في البصرة ولا يكفي تعليل عزلته بالفالج الذي أصابه. ومهما يكن من أمر فإنه بقي لسان حال الدولة إذ ألف في عهد المتوكل رسالة « في مناقب

(44) « مدح النبيذ » من مجموع رسائل الجاحظ، ط. حسن السندوبي 1933 ص 291.

(45) أنظر : دائرة المعارف الإسلامية :
E. I. Krenkow, art. Kinàna, T. 2 pp. 1076-1077.

الاتـراك وعامـة جنـد الخـلافة » قـام فيهـا بمحاولة توفيقيـة بين عناصر الجنـد المختلفـة المتطاحنـة.

نظرية الجاحظ في الملك :

وفضـلا عن هـذه الاسبـاب كلهـا فإنّ أبا عثمـان تـكلم باسمهم وسخـر قلمـه للذّود عن دولتهم وللردّ على هجومـات أعدائهم إخلاصا لمذهبـه في الإمـامـة، ولأبي عثمـان آراء هامـة فيهـا مبعثـرة في « كتاب الحيـوان » ومجملـة في فصل أقحِمَ إقحامـا في رسالتـه « في النسـاء » وهي بمثابـة نظريـة في الملـك.

فقضيـة واجبـة عنده « أنّ النّـاس لا يصلحهم إلا رئيس واحـد يجمع شملهم ويكفيهم ويحميهم من عدوّهم ويمنع قويهم عن ضعيفهم وقليـل لهم نظـام أقـوى من كثيـر لا نظـام لهم ولا رئيس عليهم » (46).

والملك عنده ضروري في المجتمع لامتزاج الخير والشرّ في الكون (47) فـ « لوْ لمْ يُقم الله للناس الوزعـة من السلطـان والحمـاة من المُلـوك وأهل الحياطـة عليهم من الايمـة لعادوا نشـرا لا نظـام لهم ومستكلبيـن لا زاجـر لهم ولـكان مَنْ عَزّ بَزّ ومن قـدر قَهـر ولما زال الشرّ راكدا والهـرج ظـاهـرا حتّى يكون التّغابن والبـوار وحتّى تنطمس منهم الآثـار » (48).

ولا ملـك عنده إلا بالعصبيـة فلذلك يحتـاج الى نسب والى أمـر قد وطيء لـه بسبب » (49) ولمـّا تفاوتت الانسـاب والاسبـاب التي بها يتمّ الشرف، فإنّ الإمـامـة « لا يستحقهـا إلا الافضل ولا يجـوز صرفها الى المـفضـول » ومن أجـل ذلك قـالوا : « أحلم من الاحنف وما هو إلا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(46) الجاحظ : كتاب « في النساء » مجموع رسائل، ط. السندوبي، القاهرة 1933 ص 271.
(47) « الحيوان » تحقيـق عبد السّـلام هـارون، ط. القاهـرة 1943 ج 1 ص 204
(48) الجاحظ « من كتابه في النسـاء » مجموع رسائل، ط. حسن السندوبي ص 271.
(49) الجاحظ « كتاب الحيوان » ج 2 ص 101

في حلم معاوية وأحلم من قيس بن عاصم، ولم يقولوا : أحلم من عبد المطلب ولا هو أحلم من هاشم لانّ الحلم خصلة من خصاله كتمام حلمه، فلمّا كانت خصاله متساوية وخلاله مشرفة (يعني عالية) متوازية وكلها كان غالبا ظاهرا وقاهرا غامرا سمي بأجمع الاشياء ولم يُسمّ بالخصلة الواحدة فيستدل بذلك على أنها أغلب خصال الخير عليه » (50) فانظر كيف نسب الى هاشم تمام الخصال ليستدلّ على أنّ السيادة لا صقة به ومقصورة عليه فلا يستحق الرّجل السيادة إلا « إذا كان أبرع النّاس براعة وأظهرهم فضلا وأجمعهم لخصال الشرف ثمّ كانت كل خصلة مساوية لاختها في التّمام ولم تغلب عليه خصلة واحدة » (51).

وقد يكون لرأي الجاحظ في أفضلية الإمام علاقة بمبدإ العصمة عند الشيعة ولا يُسْتَبْعَدُ ذلك خاصة إذا علمنا أنّ المعتزلة يعطفون على الزّيدية.

واعتقادي أنّ الجاحظ أوجب أن يكون الإمام أفضل أهل زمانه لتقوى السلطة المركزية ويتوق أبو عثمان الى توحيد الامة الإسلامية التي صدّعها دم عثمان حول امام واحد من صنف الانبياء. ويسعى لتحقيق عرضه في كثير من الاحيان وكلما أتاحت الظروف السياسية بذلك الى جمع كلمة المسلمين على اختلاف أجناسهم حول الإمام. خُذْ لك مثالا محاولته التوفيق بين الاجناس الخمسة المتطاحنة في جند الخلافة في رسالته « مناقب الاتراك ».

وحَتَّمَ على الإمام ليقوى نفوذه الانفراد بالسلطة لانّ الرؤساء إذا كثروا عمّت الفوضى ومن أجل ذلك ينادي بوجوب طاعة خلفاء بني العبّاس وبتأييد سلطانهم في غير ما موضع من رسائله السياسية.

واقرأ لمزيد تيقن من أنّ الجاحظ يتوق الى الوحدة وإن سلك اليها أحيانا نظرا للظروف السياسية، طريقا مُفرقة، وأنه يرى ضرورة انفراد الإمام بالإمامة قوله « وانفراد السيد بالسيادة كانفراد الإمام بالإمامة، وبالسلامة من تنازع الرؤساء تجتمع الكلمة وتكون

---

(50) الحيوان ج 2 ص 92.

(51) نفس المصدر ج 2 ص 91.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الالفة ويصلح شأن الجماعة وإذا كانت الجماعة انتهت الاعداء وانقطعت الاهواء » (52).

ويضرب الجاحظ لتدعيم رأيه في وجوب انفراد صاحب الدولة بالسلطة مثل البهائم التي يجعل الله لها فحلا ليقودها وهو عندها بمثابة الإمام عند النّاس : « علم الله سبحانه وتعالى أنّ صلاح عامة البهائم في أن يجعل لكل جنس منها فحلا يوردها الماء ويصدرها وتتبعه الى الكلإ كالعير في العانة والفحل في الإبل والهجمة، وكذلك النحل العسالة والكراكي. وما يحمى الحُجور في المروج إلا الحصان فجعل منها رؤساء متبوعة وأذنابا تابعة » (53).

وللجاحظ رأي في سياسة الحزم التي ينبغي على الإمام سلوكها، يبسُطه قوله : وبعد فأيّ رئيس كان خيره محضا عدم الهيبة. ومن لم يعمل بإقامة جزاء السيئة والحسَنَة وقتل في موضع القتل وأحيا في موضع الإحياء وعفا في موضع العفو وعاقب في موضع العقوبة ومنع ساعة المنع وأعطى ساعة الإعطاء خالف الربّ في تدبيره وظنّ أنّ رحمته، فوق رحمة ربه. وقد قالوا : بعض القتل إحياء للجميع (عملا بقول الله تعالى « ولكم في القصاص حياة ») وبعض العفو إغراء كما أنّ بعض المنع إعطاء ولا خير فيمن كان خيره محضا وشرّ منه من كان شرّه صرفا. ولكن أخلط الوعد بالوعيد والبشر بالعبوس والإعطاء بالمنع والحلم بالإيقاع. فإنّ النّاس لا يهابون ولا يصلحون إلا على الثواب والعقاب والإطماع والإخافة » وتتلخص سياسة الحزم في وجوب مزج الوعد بالوعيد والتّرغيب بالترهيب.

ويتصل رأيه في سياسة الحزم بالمبدإ الإعتزالي القائل إنّ المصلحة في أمر ابتداء الدّنيا الى انقطاع مُدّتها امتزاج الخير بالشرّ والضار بالنّافع والمكروه بالسار والضعة بالرّفعة والكثرة بالقلة. ولو كان الشرّ صرفا هلك الخلق أو كان الخير محضا سقطت المحنة » (54) ولا يمكن الخروج من المحنة بسلامة إلا بالعقل المميز بين الخير

---

(52) الجاحظ « من رسالة في النساء » ص 272
(53) نفس المصدر ص 271.
(54) الجاحظ« كتاب الحيوان » ج 2 ص 87 — 88.

والشرّ، وينبغي أنْ يكون عقل الإمام أكمل العقول. وإذا استوت الامور بطل التمييز ثمّ الاختيار، وما كان الإنسان ذو العقل ذو الاستطاعة ذو التبين والروية إنْسانا.

علمْتَ — حَفظك الله — أنّ لابي عثمان نظرية كاملة في الإمامة تقوم على آرائه السياسية في المُلك من جهة وعلى مبادئه الاعتزالية ولا سبيل في الحقيقة الى الفصل بين الدين والسياسة في تفكير الجاحظ وفي مذهب الإسلام وتاريخه.

واعتقادي الرّاسخ الآن أنّ مذهب الجاحظ السياسي يرتكز على نظرية الإمامة عنده وأنّ دعوته لتأييد بني العبّاس الهاشميين العرب لم تكن تملقا وإنما مُبرّرها الى حدّ كبير وجودُ الإمامة فيهم في زمنه.

ويمكن للباحث الانطلاق من هذا العنصر الهام الذى لم يتبدّل عند أبي عثمان مهما تغيرت الظروف، وكشف سرّ تناقضه الظاهرى في بعض رسائله وكتبه ذات الصبغة السياسية التي بقي الكثير منها غامضا ومقبورا مغمورا، بالتنقيب والتنقير أي النّقد وبالرّجوع الى بعض المصادر التّاريخية لإنارة ما تَغوّل على عقله وهذا المجهود شاق ومهما كانت عناية الباحثين شديدة فإنّ نواحي كثيرة من تفكير أبي عثمان ستبقى غامضة أو مجهولة نظرا لسكوت المصادر القديمة عنها ولتلف كتب كثيرة للجاحظ وقد عبثت بجُلها أيدي « أهل الحديث » كما عبثتْ بكتب ابراهيم بن سيّار النظام وغيره من جلة ايمة الاعتزال.

وإذا توفّرت المادة للباحث واستقصى الدّرس العلمي الصحيح فإنه يكشف جوانب هامة من نتاج أبي عثمان وتفكيره وتحصُل له صورة من عصره وهو من أخصب عصور الحضارة الإسلامية ولعلها تكون صورة مغايرة لما عرفه قبل اكتشافها في كثير من الاحيان. خذْ لك مثالا تاريخ محنة خلق القرآن، فإن جلّ المصادر التي تعبرُ عن وجهة نظر المعتزلة قد أتلفت بعد انتصار تيّار المحافظة في عهد المتوكل ويكاد ما كتب عن تاريخ المحنة لا يُعَبرُ إلا عن وجهة نظر واحدة هي وجهة نظر « أهل الحديث » وذلك هو الشأن بالنسبة لاطروحة المستشرق الامريكي « ولتر ملفيل باتون » (Walter Melville Patton)

الافتتاحية « احمد بن حنبل والمحنة » (55) ولقد عثرنا في كتب الجاحظ التي لها صلة بالمحنة ملاحظات تمتاز بالدقة والانتقاء ليست من قبيل ما اعتدناه في كتب الادب أو التّاريخ.

وإنّ محاولة إحياء تراث الجاحظ وإماطة اللثام عن مدافنه قد شرع فيها باحثون أفذاذ أمثال طه الحاجري وعبد السلام هارون وحسن السندوبي في المشرق و« شارل بلات » في الغرب. على أنّ عملهم يستوجب مواصلة وهو عمل جدّ مفيد إذ يعتبر الجاحظ كاتبا إنسانيا (humaniste) وإنّ أبا عثمان نفسه ليدعونا إلى تعرف معانيه كي لا تدرس فاقرأ لتتيقن من ذلك قوله :

ولولا أنّ ناسا مِنْ كلّ جيلٍ وخصائص من كلّ أمة يلهجون ويكلفون بتعرّف معاني آخرِين لدرسَتْ ولعلّ كثيرا مِن هؤلاء يُزْري علِي أولئك ويُعجب النّاس من تفرّغهم لما لا يُجدي وتركهم التّشاغل بما يُجدي... والذي فَرّقَ هذه الأقسام وسخر هذه النُّفُوس وصرَف هذه العقُول لاستخراج هذه العلوم مِنْ مَدَافنها وهذه المعاني من مخابيها هو الذي سخر بطليمُوس مع مُلكه وفلانا وفلانا للتّنَزّع للأمورِ السّماوية ولِرعايَة النّجُوم واختلاف مسيِر الكواكِب وكلّ ميَسّر لِما خلِق له لتتمّ النعْمَة ولتكمُلَ المعْرفَة وإنّما تأبّى (الله) التّيْسِيرَ للمعَاصِي » (56).

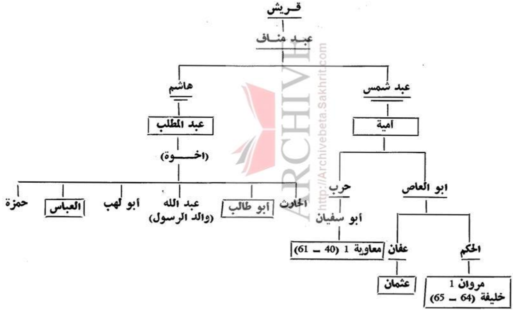
أحمد خالد

ARCHIVE
http://Archivebeta.sakhrit.com

(55) « احمد بن حنبل والمحنة » تأليف ولتر. م. باتون. ترجمة عبد العزيز عبد الحق. ط. دار الهلال 1377 — 1958.

(56) الجاحظ « كتاب الحيوان » ج 1 ص 141

ملحـــق بالبحـث



رجل بلغ القمة

- 2 -

بقلم : البشير الديماسي

لقد رأينا فى العدد السابق (1) من مجلة الفكر كيف اعتمد البيرونى على الطريقة التجريبية فى ابحاثه العلمية ، وكيف كان يحرص دائما على التخلص من « العادة المألوفة » ، وللتدليل على عدم تسليمه بما كا نيقوله الاجداد الا بعد فحص وتمحيص هو اهتمامه حتى بتلك الدويبة ووجه تسميتها تارة بأم الاربع والاربعين كما نجدها فى القاموس ، وتارة أخرى بأم الاربع والسبعين . فاذا به يتناول واحدة منها ويجلس لعد أرجلها الدقيقة . فيجد لها من الارجل مائتين وأربعين . فهذه الحادثة مهما كانت تفاهتها فى نظر الشخص العادى الا انها تدل على قيمة الرجل العلمية ونفوره من التقليد الاعمى الذى يقتل روح النقد وهو أهم ما يميز المفكر البصير عن غيره ممن استبد بهم الكسل العقلى .. والبيرونى نفسه كثيرا ما حذر من التقليد الذى يسدل غشاوة على بصائر الناس فلا يدعهم يحركون «آلتهم الفكرية» أو يبحثون .. وكثيرا ما حذر من التسامح فى كلمة « الله أعلم » التى كان يختم بها العلماء دراساتهم والتى كان الطلبة يسمعونها كثيرا ــ هنا فى تونس ــ من شيوخ الجامع الاعظم عقب كل درس .. فهذه الجملة ان دلت على شىء فانما تدل على أن كل ما قيل مبعث للشك والريبة ، وان على القارىء أو السامع أن لا يأخذها يقينية .. فما الفائدة اذن من قراءة بحث أو كتاب أو قضاء الساعات الطوال فى سماع دروس لم يقتنع قائلها بعد بصحتها .. صحيح ان هناك حقائق تفوق العقل ، ولكن هناك حقائق أيضا تعيش معنا على الارض ويمكن أن ينفذ اليها العقل الانسانى دون أن يتسرب اليها الشك ..

ان هذا المعدن من العلماء كان نادر الوجود فى ذلك الحين ، وهو الذى وضعه بين العلماء المرموقين وبوأه ــ كما قلت ــ قمة الحضارة الاسلامية ، ثم هو الذى جعل أهل الغرب يقبلون على (شراء) مادته وقد أيقنوا أن لا تحريف فيها ولا تزييف ، على هذا الاساس المتين ألف كتابه « الآثار الباقية عن القرون الخالية » وهو ما زال فى ريعان الشباب مقيما فى جرجان عند الامير قابوس بن وشمكير .. وهنا يجب أن نشير الى فضل هذا الامير عليه الذى أعجب به كل الاعجاب وسادت علاقتهما المودة والاحترام .. وفى هذا

(1) انظر العدد 5 ــ فيفرى 1964

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكتاب أودع البيرونى معلومات جمة عن التقاويم والاعياد عند الفرس وأهل الشام واليونان واليهود والصابئين والزرادشتيين ، والعرب ، واختلافها عند هذه الامم وسبب هذا الاختلاف ٠٠ وهو فى الجملة خلاصة لتاريخ الشعوب المعروفة آنذاك ٠٠ غير أن كتابه «تحقيق ما للهند» يعتبر أهم كتب البيرونى : فقد اغتنم فرصة رحلته مع السلطان محمود الى شبه جزيرة الهند فتعلم اللغة السنسكريتية وبدأ ينهل من فيض حضارتها صنوفا وألوانا ٠٠٠ وألف هذا الكتاب ــ وقد بلغ درجة كبيرة من النضج وسعة الافق ــ حدثنا فيه عن أحوال الهند الفلكية والدينية ، ولم يخص الناحية السياسية الا بفصول قليلة ٠٠ وقد قارن فيه بين مفكرى الهنود واليونان واستخلص من هذه المقارنة ان الفلسفة انما ترعرعت عند الاغريق اذ ليس فى الهند ــ كما قال ــ فيلسوف مثل سقراط ٠٠ وهذا الحكم القاطع الصادر من عالم اشتهر بالثقة ينبئنا عن اطلاعه الواسع واستيعابه للفلسفتين الشرقية والغربية وادراكه لما بينهما من أوجه الشبه أو الاختلاف والنقص أو الكمال ٠٠ وعلى كل فهو لم يتحدث باسهاب عن فلسفة الهنود الا فى كتابه « القانون المسعودى » الذى أهداه ــ وقد طرق باب الشيخوخة ــ الى مسعود بن محمود الغزنوى ٠٠ أما اذا درسنا أسلوبه فى كتاب « التحقيق ٠٠ » وجدناه يتبع أسلوبا علميا صرفا بعيدا عن البريق اللفظى ، عكس ما نلاحظه فى كتاب « اليمينى » لمعاصره العتبى الذى توخى فى سرده للاحداث التاريخية أسلوبا أدبيا شيقا مثقلا بالمحسنات البديعية التى أفرط فى استعمالها فى ذلك الحين ، وهو اسلوب ان صح استعماله فى الادب فانه فى التاريخ كعلم يبعد الباحث عن الغرض المقصود ويرمى به فى متاهات لغوية « فاضلية » لا فائدة منها ٠٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والبيرونى شديد الاعجاب باللغة العربية ٠٠ وهو مع اجادته للغة الفارسية واللهجة الخوارزمية التى يتكلم بها ، والسنسكريتية واليونانية والعبرية والسريانية فانه يميل الى العربية لمرونتها وطواعيتها وتبنيها للاصطلاحات العلمية بسهولة عجيبة ، فاسمع اليه وهو يتحدث عن حضارة الهنود والاغريق ، وعن لغة الفرس ولغة العرب : كل واحدة من الامم موصوفة بالتقدم فى علم ما أو عمل ، واليونانيون قبل النصرانيين موسومون بفضل العناية فى المباحث وترقية الاشياء الى أشرف مراتبها ٠٠ وأما ناحية الشرق فليس فيها من الامم من يعتز لعلم غير الهند ، ولكن هذه الفنون خاصة عندهم مؤسسة على أصول مخالفة لما اعتدناه من قوانين المغربيين ٠٠ والى لسان العرب نقلت العلوم من أقطار العالم وسرت محاسن اللغة منها فى الشرايين والاوردة ، وان كل أمة تستحلى لغتها التى ألفتها واعتادتها ٠٠ وانا

نفسي قد طبعت على لغة لو خلد بها علم لاستغرب استغراب البعير في الميزاب والزرافة في الاكواب ، ثم انتقلت الى العربية والفارسية فأنا في كل واحدة دخيل ولها متكلف ، **والهجو بالعربية أحب الى من المدح بالفارسية** » .

لقد عجم البيروني كل اللغات فتكلم وقرأ وألف بها ولكنه لم يجد عذوبة ورحابة صدر مثل اللغة العربية التي كلف بها الى درجة الهيام .

ومن ناحية أخرى لم يقتصر البيروني على اغناء العربية بهذه الكنوز من مختلف الثقافات ، بل لقد قام بعملية مزج الحضارات ببعضها وترجم الى السنسكريتية أصول الهندسة لاقليدس ، والمجسطي في الجغرافيا لبطليموس ، ولكنه قد فاق هذا الاخير في الجهر بكثير من النظريات الطبيعية والجغرافية التي لم تخطر على بال أحد في ذلك العهد مثل كروية الارض وانجذاب الاشياء نحو مركزها ، واعتقاده الراسخ بان الارض تدور حول محورها مرة في اليوم وحول الشمس مرة في السنة ، وهي النظرية التي لم يقع الخوض فيها في اوروبا الا في مستهل النهضة الاوروبية على يد «كوبرنيك» و «غاليلي» .. ثم ان البيروني قد أكد في بعض كتاباته أن حوض نهر السند انما هو في اصله قاع بحر تراكمت فيه الرواسب وانقلب الى مدخل لهذا النهر ...

وهناك قصة تزيد في تسليط الضوء على شخصية هذا العالم النابغة والتعرف الى جميع جوانبها حتى لا نغمطه حقه ونسلبه مكانته التي يجب أن يحتلها ، وحتى ندرك بأن حضارتنا الاسلامية غنية كل الغناء واننا لم ننقل كل شيء عن الغرب .. وحتى ـ بالتالي ـ نقضي على مركبات النقص التي تغزو نفوسنا .. ثم لكي تشب الاجيال الصاعدة بنفسية سليمة تنظر الى علمائنا بعين الاكبار : فقد حكى رجل أقبل من شمال آسيا للسلطان محمود الغزنوي أن الشمس هناك توم مشرقة ستة أشهر مما أغضبه عليه وظن أنه يريد المزح معه ، واستشار البيروني في هذا الادعاء ، فاثبت ما قاله الآسيوي وانقذه من السجن .. ومن لم يسمع اليوم بشمس نصف الليل في بلاد اللاب وغيرها قرب القطب الشمالي .

ومهما كان الامر فاني لا أريد أن أخطو مع القارىء الى الامام لتشريح شخصية البيروني وأظن انني قد استوفيت بعض حقه .. وانما اريد أن أختم هذه الكلمة بما قاله بعض المستشرقين فيه : فقد كان يراه المستشرق « سخاو » أكبر عقلية علمية ظهرت في القرن العاشر .. ويعتبره الدكتور « شاخت » موسوعة علمية تسير على الارض ونقادة من الطراز الممتاز .... ويضعه «بروكلمان» في مصاف كبار العلماء في الدنيا .. ويطلق عليه المؤرخون بصفة عامة اسم « الشيخ » وكأنهم يعنون بذلك أنه شيخ العلماء .

البشير الديماسي

تكوين الجموع اللحنية

في الموسيقى العربية

بقلم : المنوبي السنوسي

- 2 -

المنازل الثابتة اعمدة التاليف

ان الجموع الموسيقية اذا اختلفت عن بعضها بعض في مقادير الابعاد الصغار السبعة التى يكتنفها طرفا البعد ذى الكل فانها اذا قوبلت بعضها ببعض يتبين انها تشترك في بعض المنازل ، ذلك لان أصوات « الثمانية » الثمانية ـ المنحصرة بين طرفي البعد ذى الكل ـ لم تكن جميعها متبدلات ، بل منها ما هو ثابت عن نسبة واحدة لا تتغير مهما اختلفت الجموع وتغيرت بتغيير نسب بعض ابعادها الصغار السبعة أو تنوعت أوضاع تركيبها ـ أى أوجه ترتيبها ـ وسبب هذه القاعدة الموسيقية هو كون هذه الاصوات الثوابت على نسبة اتفاق تام مع طرفي الجمع ـ أى مع حدى البعد الذى بالكل :

والمنازل «الثوابت» أربع : أهمها طرفا البعد الذى بالكل ونسبتها نسبة الضعف ، وقد ذكرنا أن أصحاب الموسيقى عندنا يسمون أحد طرفي هذا البعد جوابا بالنسبة للاثقل : واثقلهما قرارا بالنسبة للاحد ، وأما عند الافرنج فالطرف الاحد يسمى «الثامن الاحد» Octave aiguë ويسمى الطرف الاثقل «الثامن الاثقل» Octave grave

وثالثة الثوابت هى المنزلة الخامة من جانب الثقل وهى ثابتة على نسبة 3/2 مع طرف الذى بالكل الاثقل وعلى نسبة 4/3 مع طرفه الاحد ، وتعرف هذه المنزلة في الموسيقى الغربية باسم « السائد » لكثرة ورودها في الالحان

ولبروزها فيها ، وكان اليونانيون القدماء يسمونها «الوسطى» (Mèse) لانها مركز مدار اللحن ودليل يضبط به موقع المنازل، ولم يميز العرب هذه المنزلة هذه المنزلة فى الموسيقى الغربية باسم «السائد» لكثرة ورودها فى الموسيقى باسم خاص ، وهى تعرف فى بلاد ايران اليوم باسم «الشاهد» يستعمل فى معنى الدليل الذى «يسترشد» ٠

واما رابعة الثوابت فهى المنزلة الرابعة من المنازل الثمانية التى يشملها البعد الذى بالكل ، وهذه المنزلة ثابتة على نسبة 4/3 مع طرف الذى بالكل الاثقل ، وعلى نسبة 3/2 مع طرفه الاحد ، ولهذه المنزلة شأن فى الموسيقى العربية اذ ان مطلع الصيغة اللحنية يتم فى الالحان العربية مع بلوغ هذه المنزلة ومع بلوغها تبرز شخصية اللحن ٠

ولما كان البعد الذى نسبة طرفيه نسبة 4/3 يشتمل على أربعة من منازل البعد الذى بالكل الثمانية سمى من أجل ذلك «ذا الاربع» وسميت مجموعة المنازل التى يكتنفها طرفاه «رباعية» وكذلك البعد الذى نسبة طرفيه نسبة 3/2 سمى «ذا الخمس» لاشتماله على خمسة أصوات وسميت مجموعة المنازل التى يكتنفها طرفاه «خماسية» ٠

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفى الالحان العربية جموع لا تبلغ من البعد ذى الكل حده الاحد ، وفيها جموع لا يجتمع فيها صوت رابع وصوت خامس على نسبتهما المعهودة (4/3 و 3/2) مع طرف الجمع الاثقل ، وهذا نادر وأمره أمر الشاذ عن القاعدة ٠

ويتكون من المنازل الثوابت الاربع تركيبا ملتئما متينا تعتمده الاصوات الاخرى المتجمعة فى ديوان الثمانية مثلما تعتمد عضلات جسم الحيوان هيكله العظمى ، ويعتمد جدران البيت وسقفه الدعائم والاعمدة المقامة فيه ٠

وكان اليونانيون القدماء يعدون تركيب ثوابت الجموع اللحنية التركيب الذى كنا نبينه من عجائب الطبيعة ومن أروع مظاهرها حتى فلاسفتهم اتخذوا من هذا التركيب رمزا لالتئام الكون ، فشيدوا بذكر مكتشفه ومن فسر واول أسراره المكنونة فيثاغورس الحكيم الذى كان يسمى هذا التركيب : « النطق الموسيقى» Logos mausikés وقد سمى أصحاب افلاطون مجموع الاعداد الاول التى تمثل نسب هذا التركيب باسم « الرباعى المقدس»

وجعلوا من تلكم الاعداد الاربعة (6 ـ 8 ـ 9 ـ 12) رمزا لمنبع الطبيعة

الخالدة ، وكما نارسطو يسمى هذا التركيب « البنيــة اللحنية » او « مركب الاتفاق والملاءمة » ٠

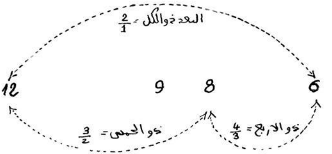
واذا تأمل ناظر فى مركب الملاءمة يتبين له أن البعد ذا الكل ـ أو الديوان كما يسميه أرباب الصناعة الموسيقية عندنـا اليـوم فى البلـدان العربية ـ تقسمه المنازل الثوابت على ثلاثة أوضاع من القسمة :

1) فمركب الملاءمة يعتبر اما مركبا من بعد ذى الاربع ممثلا فى جانب الثقل يليه بعد ذو الخمس ممثلا فى جانب الحدة هكذا :



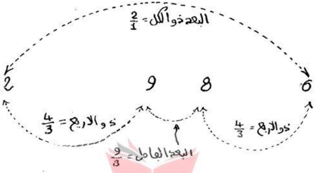
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

2) واما يعتبر مركبا من ذى الخمس ممثلا فى جانب الثقل يليه ذو الاربع ممثلا فى جانب الحدة هكذا :



3) واما يعتبر مركبا من ذى الاربع أول ممثلا فى جانب الثقل وثان ممثلا فى جانب الحدة وبين البعدين بعد صغير فاصل نسبته نسبة 9/8 وهى نسبة

طرفى البعد الذى يمثل الفرق بين ذى الكل ومضعف ذى الاربع وكذلك الفرق بين البعد ذى الخمس والبعد ذى الاربع : وكان علماء العرب يطلقون على هذا التركيب اسم « الجمع المنفصل » لاشتماله على بعدين من الابعاد ذوى الاربع يفصل بينهما بعد صغير ٠



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذا وللبعد الصغير الذى نسبته نسبة 9/8 الفاصل بين البعدين ذوى الاربع الممثلين فى طرفى ذى الكل شأن عظيم فى تطورات صناعة الموسيقى اثناء العصور، فانهذا البعد مع كونه غير متفقفىذاته حسب الاعتباراتالنظرية البحتة قد أنزل منزلة المتفق لانه الفرقبينبعدين متفقيناتفاقا كاملا تاما مطلقا اعنى بذلك بعدى ذى الخمس وذى الاربع : وقد جعل من هذا البعد منذ ظهور علم الموسيقى المعيار الذى تقاس عليه الابعاد اللحنية التى هى دون البعد ذى الاربع سعة ، وكان اليونانيون الاقدمون يطلقون على هذا البعد اسم «طونوس» TONOS وأخذ عنهم علماء العرب هذا الاسم وعربوه فجعلوه « طنينى » وقد انفرد من بينهم الفارابى بنقل هذا الاسم مترجما الى العربية اذ استعمل عوضه اسم «المدة» وهى تؤدى معنى اللفظة اليونانية بكامل الدقة

وقد اردف الفارابى اسم « المدة » باسم آخر هو لفظة « العودة » يستعمله فى بعض الاحيان عوض اسم « المدة » ، وذلك لانه متى يضاف الى مضعف ذى الاربع بعد المدة كان طرف المدة الاحد اعادة للصوت الاول الذى بدأ به التركيب لما بيناه من قبل من طرفا البعد ذى الكل يوهم لمستعملهما كأنهما صوت واحد بعينه يكرر ٠

كان اليونانيون القدماء يحافظون فى تركيب جموعهم اللحنية على بقاء أعمدة « بنية الملاءمة » ثابتة فى أماكنها مهما كان التركيب ، وان هم لازموا ذلك النظام فالفضل فى ذلك يرجع لطبيعة آلتهم المعهودة المحظية وكانت المعزفة مطلقة الاوتار المعروفة عندهم باسم « الليرا » (Lyre) وفى هذه الالة كل وتر معد لاخراج صوت واحد معين من أصوات الثمانية المحيط بها طرفى البعد ذى الكل ، فكانوا اول ما يسوون من أوتار العزفة الطرفان ، ثم الرابع والخامس يقرونها على تسويتها ولا يتصرفون بالتغيير ـ أى بالحزق وبالارخاء ـ الا فى غير هذه الاوتار الاربعة ، فكانت رسوم «مركب الملاءمة» دائما مشخصة لديهم ثابتة على مقدار واحد من الحدة والثقل ٠

وأما العرب فبما أن الآلة المفضلة عندهم هى العود وكانوا وما زالوا يسوون أوتاره على نسبة البعد ذى الاربع (4/3) فهم مضطرون بطبيعة الوضع لجمع بعدى ذى الاربع فى بداية الثمانية ولاقصاء بعد المدة المتمم لبعد ذى الكل فى الجانب الاحد ٠ ذلك ما اعتبره الفارابى لما استعمل كلمة «العودة» مرادفة لكلمة « المدة » للدلالة على البعد الذى نسبة طرفيه نسبة 9/8 : وكان علماء العرب يطلقون على هذا الوضع من قسمة ذى الكل اسم «الجمع المتصل» لورود بعدى ذى الاربع فيه متصلين يحد بينهما صوت واحد هو نقطة اتصالهما

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد يرتب بعد العودة فى بداية الثمانية وبعدا ذى الاربع متصلين فى الطرف الآخر وهو الطرف الاحد ، وكان علماء العرب يطلقون على هذا الوضع اسم « الجمع المتصل » أيضا لاتصال بعدى ذى الاربع فيه ،

المنازل المتبدلات التجانس والاجناس

قلنا فيما سبق أن العادة قد جرت فى موسيقى جميع الامم على وجه الاجمال بان الدرجات التى تنتخب من سلم الاصوات الموسيقية العام لتأدية كل نوع من أنواع الالحان لا يزيد عدد هذه الاصوات على الثمانية فى الديوان الواحد ـ أى فى نطاق البعد ذى الكل وهو الذى نسبة طرفيه نسبة الضعف ، فاذا اعتبرنا المنازل الثوابت الاربع على الاوجه التى بيناها لما وصفنا تركيب «بنية

التأليف الملاءمة» لم يبق سوى أربع درجات لاتمام « الثمانية » وتعرف هـذه الدرجات أو المنازل الاربع الباقية باسم « المتبدلات » لانها هى التى تتغيـر طبقاتها لما تتغير صيغة الثمانية وشخصيتها اللحنية ٠

والمتبدلات الاربع اثنتان منها توجدان بين طرفى البعـد ذى الاربع الاول واثنتان بين طرفى ذى الاربع الثانى ٠

وكل زوج من المتبدلات الاربع يقسم بعد ذى الاربع الذى يحتويه الى أبعاد ثلاثة صغار ويسمى علماء العرب هذه الابعاد الصغار الثلاثة التى يقسم اليها البعد ذو الاربع بادراج المنزلتين المتبدلتين باسم «الابعاد اللحنية» لانه بهـا يتم التلحين وباختلاف مسافاتها تختلف صيغة اللحن ويتغير طابعه ٠

وبما ان المنازل المتبدلات تتغير طبقاتها فى الارتفـاع والانخفاض تغيرات مختلفة صارت تجزئة البعد ذى الاربع الى ثلاثة أبعاد لحنية على أنحاء مختلفة، وهذه الانحاء عديدة كاد لا يحصرها عدد لو لم يشترط فى التجزئة ان تكون المنازل التى تكتنف الابعاد الثلاثة متجانسة ــ أى متآلفة مع بعضها بعض ، ومن أجل هذا الشرط اطلق علماء الموسيقى اليونانيـون ومن بعدهـم علماء العرب اسم « الجنس » (ينوس ÉVOS)على كل وضع معين من اوضـاع تجزئة البعد ذى الاربع الى ثلاثة ابعاد ٠

http://Archivebeta.Sakhrit.com

⁂

لقد أهتمعلماء اليونانوكذلك أصحاب المصنفات العربية القديمة بامر المنزلتين المتبدلتين المتخللتين لطرفى ذى الاربع لتكونا منزلتى «عبور» من أحد الطرفين الى الاخر وبذلوا الجهد فى وضع قواعد يضبطون بها مقادير الثلاثة ابعاد التى يمكن ان يجزى اليها البعد ذا الاربع مع المحافظة على تجانس منازل الرباعية ، وحاولوا الوقوف على العلاقة بين الاعتبارات الحسابية الرياضية المحضة الراجعـة الى نسب الابعـاد التى ثبت عندهم نظريـا أنهـا نسب اتفـاق وملاءمـة وبيـن الاعتبارات النفسية الراجعة الى التذاذ النفس بما يحصل فيهـا عن طريـق حاسة السمع من تأثير ناشىء عن تجمع تلكم النسب العددية متتالية ٠

فقد جعلوا الاجناس باعتبار تأثيرها فى النفس قسمين مميزين :

١ ــ قسم يشمل الاجناس التى يكون احد ابعادها الثلاثة اعظم سعة مـن مجموع البعدين الاخرين، واطلقوا على الاجناس التى من هذا النوع اسم «الاجناس

اللينة » أو « الاجناس النسوية » لتأثيرها فى النفس تأثيرا يحدث فيها رخاوة وضعفا مما ينسب عادة الى الانوثة ٠

2 ـ وقسم يشمل الاجناس التى ليس من بين ابعادها الثلاثة بعد اعظم من مجموع الاثنين الاخرين ، وأطلقوا على مثل هذه الاجناس اسم « الاجناس القوية » لانها تحدث فى نفس المستمع نشاطا وشدة وانطلاقا وعزما

∴

من القرن السابع الى القرن العاشر ميلادى كان الفنانون العرب اصحاب الغناء المتقن يعرفون بصيغ أغانيهم اللحنية ـ أى بما نسميه اليوم النغمات ـ بالاستناد الى دساتين العود ، والدساتين خيوط كانت تشد على سواعد العود فى مواضع حجز الاوتار تقوم مقام العتب ٠

وكان نظام الدساتين فى أوائل ذلك العصر بسيطا جدا اذ كان عددها لا يتجاوز الثلاثة وكانت ثابتة فى مواضع معينة وتسمى باسماء الاصابع المعينة لحجز الوتر عندها وهى السبابة والوسطى والبنصر ، ولم نذكر دستان الخنصر لان صوته فى كل وتر كان يعوض بصوت مطلق الوتر الذى يليه لتساويهما فى الطبقة حسب التسوية المعهودة ، وكانت التسوية على البعد ذى الاربع (4/3) ٠

http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان لا يجمع بين صوت الوسطى وصوت البنصر فى أصل اللحن الواحد ، فكان اللحن يجرى اما فى مجرى الوسطى وأما فى مجرى البنصر ، وكان التعريف بالصيغة اللحنية يقتصر على ذكر الدستان المعين لبداية تسلسل الاصوات وعلى تعيين أى الدستانين الوسطى أم البنصر يجرى ـ أى يستعمل ـ دون الآخر فى سياق اللحن ٠

وكان صوت دستان السبابة على بعد مدة (9/8) من صوت مطلق الوتر ٠

وكان صوت دستان البنصر على بعد مدة (9/8) من صوت السبابة ٠

وكان صوت دستان الخنصر (الموافق لصوت مطلق الوتر التالى) على بعد نصف المدة من صوت دستان البنصر (على نسبة 243/ 256 بالضبط) ٠

وكان صوت دستان الوسطى على بعد نصف المدة من صوت دستان السبابة ، وصوت دستان البنصر على بعد مدة منه ٠

فلم يكن اذن لدى الضارب بالعود سوى ثلاث صيغ لحنيـة تستخرج مـن نظام دساتين العود المعهود فى ذلك العصر • وكا نيطلق على الصيغ اللحنية فى ذلك العهد اسم « الاصابع الستة » لان كل صيغـة من الصيـغ الثـلاث كانت تخرج مرتين من نظام الدساتين وفى كل مجرى من المجريين مجرى البنصر ومجرى الوسطى ، وكان لا يميز الصيغ الثلاث عن بعضها بعض ويكسبهـا شخصيتها اللحنية الخاصة بها سوى مرتبة بعد نصف المدة فى تتالى ابعـاد الرباعية الثلاثـة •

وفى اواخر القرن الثامن شد منصور زلزل دستانا آخر للوسطى على بعد ثلاثة ارباع المدة من السبابة ومثل ذلك من الخنصر ، ولم يلغ من أجل ذلك دستان الوسطى القديم ولا الاصوات التى تستخرج به ، بحيث صار نظـام العود لما عم استعمال وسطى زلزل نظاما مزدوجا وصار كل تعبير من التعابير الدالة على الاصابع الثلاثة الراجعة لمجرى الوسطى يدل على صيغتين لحنيتين صيغة قديمة وصيغة زلزلية ، وصار عدد الدساتين خمسة باعتبار دستـان الخنصـــــر •

وكان اصحاب العود يضيفون للدساتين الاصول «مجنبات» لهـا ، وكان أمر هذه اللواحق قد استقر فى عصر الفارابى ـ أى فى بداية القرن العاشر ميلادى ـ وصار للسبابة ثلاث منازل كما كان للوسطى منزلتان ، أما منزلة السبابة الاولى فهى منزلتها الاصلية الواقعة على بعد مدة من مطلق الوتـر ، وأما منزلتها الثانية فكانت على بعد مدة من دستان الـوسطى القديـم وكان دستان هذه المنزلة يعرف باسم « الزائد » ، وكانت منزلة السبابة الثالثـة على بعد مدة من دستان وسطى زلزل وكان دستان هذه المنزلة يعرف باسم « المجنب » مع الاضافة اما للسبابة واما للوسطى ، وصار اذن عدد دساتين العود سبعة باعتبار دستان الخنصر •

ولما تنوعت مواقع دستانى السبابة والوسطى صار الاصطلاح القديم الذى كان جاريا به العمل فى زمان صاحب كتـاب الاغانى غير صالـح للتعريف بصيغ التلحين بما يجب من الدقـة فى الوصف والنعت حيث صـار يلتبس على المستخبر أمر الدساتين المدلى اليه باسماء الاصابع المعينة لها ، ومن اجل هذا الالتباس هجر أرباب الصناعة اصطلاح الاصابع وأخذوا يعوضونه باسماء علم يطلقونها على الصيغ اللحنية لتكون لها بمثابة العلامـة ، على أن هـذه

الاسماء لما كانت لها علاقة بمميزات مسمياتها كانت لا تنفع سوى من سبقت له معرفة بمدلولاتها ٠

وقد فطن اصحاب مصنفات علم الموسيقى من عرب وفرس فى القرن الثالث عشر ميلادى لابهام الملحق بالاسماء التى وضعها أرباب الصناعة للصيغ اللحنية ولقصورها عنوصف الصيغة اللحنيةوصفا يشخصها بكاملالدقة لمستخبر أمرها المتطلع فى تركيبها ، ففكروا فى وصف أوضاع الصيغ اللحنية بقيس أبعادها المستخرجة من دساتين العود واستنبطوا لذلك ثلاثة مقاييس معيارها بعد المدة يقاس عليه ثلاثتها ، ورمزوا للمقاييس الثلاثة بثلاثة أحرف اختزلوها من أسمائها ٠

اول المقاييس الثلاثة هو مقياس « ط » يرمزون بهذا الحرف على بعد المدة الفيثاغورية التى نسبة طرفيها نسبة (9/8) وقد اختزلوه من لفظة «طنينى» وهى اسم المدة معربا عن اليونانية (طونوس Tonos)

وثانى المقاييس هو مقياس « ج » يرمزون بهذا الحرف على بعد يعتبر مساويا لثلاثة ارباع المدة على وجه التقريب ، وقد اختزلوه من لفظة «مجنب» وهى اسم اطلق على هذا البعد لانه يتمثل لاول مرة فى نظام دساتين العود بين مطلق الوتر ودستان مجنب السبابة الذى هو على بعد مدة من دستان وسطى زلزل ٠

وأما ثالث المقاييس فحرف «ب» اختزلوه من لفظة «بقية» وهى اسم البعد الباقى من ذى الاربع بعد طرح مدتين وقد نقله علماء العرب منذ بدايةاهتمامهم بالموسيقى عن اليونانية بالترجمة ، ونسبة هذا البعد نسبة 256/243 وهو يتمثل بين المطلق والزياد ، وبين السبابة والوسطى القديمة ، وبين البنصر والخنصر ، ويعتبر بمثابة نصف المدة ٠

الناظر والمستحق

بقلم : مصطفى آغا

المستحق : عم صباحا يا سيدي الناظر، كفيت شر المستقبل والحاضر،

الناظر : حللت اهلا، ونزلت سهلا، فهل من مهمة أؤديها، او حاجة اقدر ان اقضيها.

المستحق : الحاجة معلومة من زمان، فلا تحتاج الى تصريح وبيان، ولنتكلم يا حضرة الناظر بصراحة تامة، عسى ان تنتهي هذه المسألة الهامة، اني أريد نقودا وكفى، ونبقى كما كنا على سلام وصفا، فإن أنت الناظر حقيقة لا مجاز، وانا المستحق الذي تصرف وحاز. فما موجب حرماني مما ورثت، واني منذ آمنت بالله ما كفرت، اللهم الا ان خرج الواقف وحرمني من احسانه وبره، ولما كان هذا مستحيلا. سنه الله ولن تجد لسنة الله تبديلا، فما بقي الا أن القساوة بلغت من بني الإنسان. حدا لم تصله الكواسر من الحيوان. أنت تعلم علم اليقين، بأني — ولا ريب — من المستحقين، وتعلم ايضا عجزى عن القيام بدعواى، وايجاد سبيل لتقديم شكواى، واني فاقد العضد ولا أحد لي نصيرا، فلماذا عتوتم عتوا كبيرا، واني يا فاقد الإحساس، أرى غيري من مستحقي الاحباس، يعيشون عيشة الامراء، وتبدو عليهم مظاهر الترف والثراء، فما الذي صعد بهم الى قمة اليسار، ونزل بي الى درك الخراب والدمار، فهل من جواب، يكون فيه فصل الخطاب، نعم أنا الذي يعلم هذا الجواب لا سواى، ويعلم اسباب هذه الرزايا، فأولائك تنظر إليهم نظراؤهم بعين العدالة والإنصاف، وتشملهم بالرعاية والإنصاف، اما هذا البائس المنكود، والذكر الموؤود، فإن حظه العاثر، اوقعه في مخالب احد الكواسر، واني للعصفور الصغير، أن ينفلت من قبضة الجارح الكبير، الا اذا سمح الزمان، والله، كل يوم هو في شأن.

الناظر : ماهذه الحملة العنيفة، وما معنى هذه الجمل السخيفة، ولعمري ان لم يكن ماقلته على سبيل المجون، فقد صدق من قال ان الجنون فنون، ألم يبلغك انك مدين ولك غرماء، ملؤوا الارض صراخا

والسماء، وتقاطرت منهم الاوراق، حتى امتلا الدرج وضاق، فارشدني يا هذا كيف يكون السير، وهل يجوز التبرع بمال الغير

المستحق : الدين، الغرماء، الارض، السماء، الاوراق، النطاق، هل هذه الظلمات المرتبه، تقتضي باحتمال الحاجة والمسغبه، وخلاصة القول يا حضرة المنطيق، انك تسوقني بتصرفك الى أسوإ طريق، كيف لا وأنت تعتني بغرمائي، اكثر من اعتنائك بمصالحي بل بغذائي، ولعمري ان هذا مما يدخل الريب الى القلب السليم، ويثير غضب الوديع الحليم، ويجرح الإحساس، ويضيق الانفاس، فهل يعقل يا أيها الرفيق، ومن حل محل الوالد الشفيق، ان يتمتع الدائن الغريب، بما خصصه الواقف للوارث القريب، ان هذا لهو البهتان، بل عين الخلط والهذيان، فهل تجد يا أيها المجتهد، بل يا ايها العاهل المستبد، قاضيا فوق هذه الارض، ولو جبت طولها والعرض، يحرم المستحق، لان للدائن بعض الحق، ومع هذا فأنا لا أمانعك ان توفي هذه الديون، فلست — كما زعمت بالمغفل المجنون، ولكن بعد أن تكفيني غدائي ، ومسكني ،وكسائي وقضاء جميع أوطاري(I)، وما ينشأ عن الطواري، فلو ثُبْتَ الى نهاك، وخشيت من صورك وسواك، لعدلت يا أيها الحكيم، عن هذا الرأي السقيم، ولتبينت ثقل الامانة، ولتبرأت من رجس الخيانة، وليس هذا بالامر العظيم، بل هو قسمة الربع بيني وبين الغريم، فتكون قد قمت بالمهمة، واخليت الذمة، وتركت الحيف والاعتساف، وسلكت سبيل العدالة والانصاف، وما هذا على النظار بعزيز، اذا كبحوا جماح النفس عن هوى الذهب الابريز، واقتنعوا بالجزء اليسير، وطلبوا النجاة من السعير.

الناظر : أغاب عليك ايها الجهول، ان جميع منابك غير معقول، وانه لا يفي بعشر الدين، فدع عنك هذا الهراء والمين، وان تتقاضاه مني عين الاحسان، وصدق الله ما أكفر الإنسان.

المستحق : العقلة، ما العقلة وما ادراكما العقلة، العقلة هي سيف ابطال الاوقاف، وناصري الجور والاعتساف، اذا تقلده الناظر، أصبح المليك القادر، لا يلين قلبه لكلام، ولا ترهبه الاحكام، وانها كلمة تسر الناظرين، وتروع الضعفاء المستحقين، يقولها صاحب مملكة

(I) في المخطوط : أطواري ، ولعله سبق قلم اذ القصد : «أوطاري»

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الوقف بارتياح، فتنزل صاعقة تزهق الارواح، ولكم أعمل هذا البتار، في عوائق المستحقين الاحرار، فراحوا ضحية الاثرة، قتل الإنسان ما أكفره، العقلة هي الموت الادهم، والقضاء المبرم، والسيف القاطع، والسم الناقع، واللص المختلس، والوحش المفترس، اما بالنسبة الى الناظر، فهي من احسن المناظر، فإن هذا الموت هو الحياة، وهذا القضاء مكارم وهبات، وهذا السيف شعار، وهذا السم عُقار، فيامن يعيش بموتي، ويتغذى بقوتي بحق من انشاك وبراك، هل عهد اليك من اولاك، بأن تضطهد المستحق، وتُبتّ للغريم الحق، وان تكون لذلك خصيما شريرا، ولهذا معاضدا وظهيرا، فإن كان هذا فعليك ان تتبع، فما حيلة الهر أمام السبع، ولكن ما اظنها الا من جني اشواك نفسك الامارة، ونفثات من جحيم افكارك مختاره، قل لي بربك ايها السلطان المستبد، هل تزعم أنك باق على عرشك الى الابد، لا تتزعزع له أركان، ولا يؤثر عليه الحدثان وانت لا تهدمك الاعوام، ولا يفاجئك الحمام، ولا تنتهي ايامك، ولا تنكس اعلامك، وهب بقيت الى النهاية، متمتعا بهذه الغواية، هل انت ناج من سقر، لواحة للبشر. بلى وكأني بك يا عبد المال وقد فقدك صبرك، تنادي يا مال ادع لنا ربك فهل للغرماء لنجدتك استطاعه، وهل يقبل منهم عدل او شفاعة كلا بل سيمسك بتلابيبك الواقف الذي خنت امانته، وصبرت عبارته، وحدت عن تصريحه، وعذبته في ضريحه، فيقال خذه بيدك الى لظى، وذكره في الطريق بما مضى، ليعلم صدق الوعيد، وان ليس بظلام للعبيد، فكفاك يا سعادة الناظر، ما شخصته من المناظر، واعدل عن هذه الاباطيل، واسلك سواء السبيل، فإنك ان تركت هذه السخافات، وفرغت من تلك الخرافات، وقضيت ما عليك للناس، واخذت بالعدل والقسطاس، وبذلت ما اكتنزته من المال، وخشيت المغبة والمآل، وخلعت درع الديون، واتقيت غياهب السجون، فإني أغض الطرف عما اقترفته الى حين، وستجدني إن شاء الله من الصابرين، اما اذا حدت عن هذا الطريق، وسلكت سبيل التقتير والتضييق، فأبشر بدنو ساعة المناقشة، وبقرب بداية المناوشة، ثم اشهار الحرب الضروس، وان هذه أهول من حرب البسوس، فإذا نقر في الناقور، ونفخ في الصور، وحضرت أعوان الحلومه، منذرة بابتداء الخصومة فيومئذ يتعذر الخلاص،

بل لات حين مناص، وعندها ينادي المنادي من قريب، قضي الأمر واتى اليوم الرهيب واقتربت ساعة الحساب، ولكل اجل كتاب، وها أنا ممهلك عشرين دقيقة، لتجيب على هذه المشكلة الدقيقة فاما ان اصافحك واروح ممتلىء الجراب، والا فانتظر يوم الوقيعة وساعة الحساب.

الناظر : لقد ثبت عندي انك مجنون لا ريب، حقيقة لا رجما بالغيب، ولو لم أحسبكم(2) من ذوي المجانة، لما صبرت على هذه الإهانة، فقل لي بربك يا أيها المجذوب، ما هذه الطريقة وما هذا الاسلوب، وما لك تكرر كلمة الحساب، معززة بالشتيمة والسباب، أجهلت أم تجاهلت أنك أمضيت المحاسبة الاخيرة، من مدة يسيرة، ألم توافق عليها قبضا وصرفا، وامضيت مصدقا لما فيها حرفا حرفا، وشهدت عليك العدول دون قيد واحتراز، بحال المعرفة والجواز، ولعمري تجاوزت حدا، وجئت شيئا ادًّا، واضعت علي وقتي الثمين، وصورتني كإبليس اللعين، وانذرتني نارا تلظى، لايصلاها ألا الاشقى، فويل لك أن كنت من الكاذبين، فإني أخاف الله رب العالمين، فإن كفاك هذا الإعتراف، فلم يبق أمامك الا الانصراف، وسنلتقي كما قلت في الوقت المعلوم، وعند الله تجتمع الخصوم.

http://Archivebeta.Sakhrit.com

المستحق : أما الانصراف فلا بد منه، واما الخصام فلا محيص عنه، فإن تر ان امضائي يخول لك الحق، فأنا ما اراه الا حبرا على ورق، واراك افضت القول، في اكبار شأن العدول، واهمية ذلك الحساب، كان فيه فصل الخطاب، وترى انك بعبارات شهودك القاصره قد تخلصت من تبعتي في الدنيا والاخره، فتبا لهذه الافكار، وسحقا لهذا الإبتكار، نعم اني حضرت في حضيرة عدولك، وسمعت بعض ابوابك وفصولك، ولكن وايم الله ماتبينت منها حرفا، ولا تصورت لهاكنها ولا وصفا، بل طفقت عدولك الاخيار، تقلب تلك الاسفار، وقد مكثوا زمانا طويلا، يرتلون آياتك ترتيلا، مندفعين لا يقفون وقفا ولا يحترمون نحوا ولا صرفا، فظهرت آياتك المعجزة، ولكن على الضعفاء والعجزة، وستفسر امام القضاء، ومنزلها، على جمر الغضى، فيال الله كم من ترميم، ومن معاليم وتقويم، ومن خشب ومسمار، ومن جص وأحجار، ومن مفاتيح واقفال، وسلاليم وسلال،

---

(2) في المخطوط : ولو لم حسبتكم من ذوي المجانه

وفأس ومسحاة، ومعاول مختلفات، وثمن اسفار، ومصاريف أسفار، ومن ترميم آبار، وتقليم اشجار، وعدة وبعير، وذرة وشعير، وضريبة انزال، وأجور عمال وغرامة النظافة، ومعاليم الصحافه، وتضمين مكاتيب، وتجديد أنابيب، وصف من العربات. قد سوّد بياض الصفحات، وسد الطريق، وتدفق من كل فج عميق فكأنك رممت البلاد، أو اعدت ارم ذات العماد، أو بلغت في سفرك المتعالي، الى مجاهل القطب الشمالي، وتجرعت كأس الابتعاد، واتبعت خطة السندباد، ولا ريب أن لك رحلة مخطوطة، يحسدك عليها ابن بطوطة، فما أقدرك على الاختراع، وما اسرع شهودك الى الانصياع، فقد كتبوا ما أمليته، ورتلوا ما أوحيته وحيث لم يكن هناك منازع، ولا مروءة عندكم ولا وازع، تجرأتم على الإحباس، وعبثتم بمصالح الناس، أنا ما كنت عاجزا عن فهم توراتك، ولا قاصرا عن تحليل آياتك، ولكن لما كان بيننا من المؤاخاة، تركتك تقص تلك الخرافات، ولا اعيرها أدنى اهتمام، بل أمر عليها مر الكرام، وذلك لاني تمنحني الكفاية، وتواصل الجراية، وكنت عليك اتغاضي لانني قانع بما اتقاضى، ولاجل هذا منحتك رضائي، وجعلت تحت طلبك امضائي، اما وقد غيرت السنن، وقلبت ظهر المجن، وتصرفت في النقد والعين، وتسلحت بالحجز والدين، وتحالفت مع الغرماء، وموهت على العلماء، وتحصنت بالعُقل، واجريت مزن المقل، وآمنت الغائلة، فعبثت بالعائلة، واوصدت الباب، ونسترت بالحجاب وزعمتني من الاموات، الخامدي الاصوات، واتبعت نفسك الاماره، وقسا قلبك فكان كالحجارة لكنني اليوم غير ما عهدت وخلاف ما حزرت. بل ادهى من الرئبال واسرع من الغزال، واسبق من الرياح، واروع من الاشباح، وأخبث من شيطان، وألسع من ثعبان، واجرى من أرنب، واروغ من ثعلب، وأغرى من الدن، واسرع من الجن، وأخدع من غادة، واثبت من العادة، واخطر من النهر، وأغدر من الدهر، ولم أعد ذلك الخمول، المتمسكن الخجول، الوديع المصارح، واللطيف المتسامح، المغضي عن الخطل، المقتنع بالاقل، ولسوف تأتيك انبائي فلا تطمع بعد اليوم بإغرائي، وهذا يوم لا تفيد فيه الملامة، ولا تقبل فيه الندامة، وسأقول لك فيه لقد غرك الامل، واليوم سبق السيف العذل.

القـاضي : تكلم ايهـا الرجل، فقد حضر الناظر وابتدأ العمل، واقتصر إن في الـكلام فتنـة في شهـر الصيـــام.

المستحق : اصلح الله القاضي الجليل، صاحب العرفان والمجد الاثيل، اني اشكو هذا الناظر الضليـل، عمـا أتى نحوي من الاباطيل، فـقـد تصرف في اوقافي، تصرف العابث الجافي، ولم يؤثر عليـه احسـاني، بل أصـر على حرمـــاني.

القـاضي : — مقاطعـا — أهذا هو الاختصـار، ان في خلق الله أسرار، فاسلـك أصلحك الله سبيـل القضيـة وبين دعـاويـك بطريقـة مرضية، اما اذا اتبعت تلك الطريقـة، فسيفـاجئنـا الافطـــار قبل الوصـــول الى الحقيقـة.

المستحق : أصلح الله القاضي هاك الاقتصار، على الحقيقة مع الاختصار، اني ذوسبعـة اطفـال، كبيرهم لا يتجـاوز العشرة احـوال، منهم وليـدة ضعيفة، وحليلـة عفيفـة، وخادمـة بسيطـة، وحمـــاة سليطـة.

القـاضي : مقـاطعا — قسمـا لو استمـررت على هـذه الطريقـة، وابتعدت بها عن الحقيقـة، وتماديت على هذه الحالـة، فإني مطردك لا محـالة.

المستحق : ولما رأيت أن الخطب تناهي، التجأت الى شريعة طه، وزعمت ان سأسمع قولا حقـا، واقعـد مقعدا صدقـا، وانتصف من هذا المتسلط، فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط، واتبـع شريعة التنزيـل، واهدنـا سواء السبيـــل.

القـاضي : تا لله لم افهم من هـذه القضيـة، الا بعض حالتك المرضيـة، واسرارك المكنونة، وأفرادعائلتك المصونة، وكونك من المستحقين، وناظرك من الظالميـن ،وعلى كـل حـــال، فما قولـك أيهـا الناظر فيما قال.

الناظـر : اني اوافق على أن له عائلـة سعيـدة، ووليـدة وخادمـة رشيـدة، وحمـــاة شديـدة واما كوني من الظـالميـن، وعلى ضـلال مبيـن، فعليه أن يبيـن افعالي، ليتحقـق ضلالي.

القـاضي : — للمستحق — اني أراك في ادعـائك مرتـابا ، وبعيـدا عن محجـة

الصـــواب، فأقلل من اسهابك، واختصر في خطـابـك، وقل هل وافقـت على حسـابك، وهل اتصلت بجميع منابـك.

المستحق : اعلم ايهـا القاضي الهمـام، حامي شريعـة الإسلام، ان هـذا النـاظر من ذوي الشراء، وكل الصيد في جوف الفـراء، وهو قادر أن يسعفني بمالـه، ولا يتغير شيء من حاله، ولكنـه يأبى الانفـاق، بخلا وخشيـة املاق، مع أن له من مـال الاحبـاس، ومن ودائـع النـاس، ما يبعد عني شيـح الاعســـار، ويقرب اليّ طيف اليســـار.

القـاضي : وحق من خلـق الإنسان من علـق، اني ما فهمت حقيقة هـذا المستحق، فقل لي هل وصلـك مالك كلـه، اما القرض والاستجـــداء فليسَ هـذا محلـــه.

المستحق : اعلم ايهـا القاضي الهمام، حامي شريعـة الإسلام، ان هـذا الناظر ارتـج البـــاب، واسـدل الحجـــاب، وحرمنا من التمتع بالنظر لوجهـه الكريم، وان ذلك لهو الفوز العظيـم، ولما كنت على مـذهب الجمـاعة، موقنا أن أرى وجه ربي بعد قيام الساعة، عجبت من هـذا الاحتجاب، حتى كـدت افقـد الصواب، فلقد طـال الانتظـــار، وعيل الاصطبـــار، وداخلنـــي بعـــض الريب، وطـــفقت ارجـــم بالغيب، وفارقتني الإلطـــاف، فملت الى صاحب الكشـــاف، وصرت حـول حياض الاعتـــزال اذود، وقلت في نفسي لقد صدق محمـود، فـإن من بين البشـر من لا يرى، فكيف بمن خلـق الكون والـورى.

القاضي : ما موجب هذا التخريف ، وما معنى هذا التجديف ، وما الجـــاك الى هـذا الحال ، حتى لجأت الى الإعتزال، ولو لم تـكن بك جنة لما اعتزلت مذهب أهل السنـة.

المستحـق : اصلح الله القاضي الحكيم، وهـداه الى صـــراطه المستقيم، اني ما أتيت بهذا البيان، الا حكـاية عمـــا أصابني من الخـذلان، وما تجرعت من مـرارة الإحتقـار، وما تحملت من مشـــاق الانتظـــار، فاتـرك هذه اللهجـة الشديـدة، فما أتيتـك للبحث في العقيدة، ولا أنا طـــالـب من الهداية، بل المؤازرة والعناية، وعلى كل صفة وحـــال، فهل أحـرم من الاستحقـــاق بالاعتـــزال.

القاضي : عجل بذكر حاجتك ومرماها، قبل أن تلفحنا النار بلظاها، وقل هل اطلعت على حسابك، وتوصلت بمنابـك.

المستحق : عدنا ثانيا الى الحساب، بعدما أملنا ايصاد هذا الباب، أليس هو سيف خصمي الذى انتضاه، ولا حول ولا قوة الا بالله، نعم ياسيدي القاضي أمضيت الحساب، ولكني لم أقبض المناب، بل قبضه الدائنون، وانا لله وانا اليه راجعون، فارتاح لهذا الناظر الامين، وارجعني بخفي حنين، ولعمري لو شاء لما كان له مصادقا، ولا انقده دانقا، ولتركه يغدو ويروح، حتى يسلم الروح، ولكن أبى إلا أن يكون المنعم، فقضى عليه بقضائه المبرم، فلا ايمان صده، ولا ضمير رده، ولا استقامة ولا عفة، بل لامر ما جدع قصير انفه، واني يا حضرة القاضي شممت من هذه المرافعة، رائحة التحيز والمخالئه، ولهذا انسحب من هذا المكان، فقد ذهبت قضيتي في خبر كان، ولكن يا سيدي الناظر لا يغرك هذا الانتصار، ولا يسرك هذا الانحدار، فإني وان تقهقرت منهزما مذموما، ورجعت مدحورا محروما، فإن الحكومة مفتحة الابواب، وقابضة على النواصي والرقاب، نعم اني خرجت فارغ اليمين، ولكن ستأتيك انبائي بعد حين، ويفاجئك الإنذار المسطر، وتأخذك الصيحة وانت لا تشعر يوم لا تجد فيه ملتجا، أنت والقاضي سوا.

الا يا ناظر الاوقاف مهلا	فإنك من عداد المنظرينا
الى يوم الحساب تساق قهرا	ولا مال يقيك ولا بنونا
هناك نلتقي من دُون ريب	لدى الديان دون الدائنينا
هنالك تشهد الاغضا بحق	هناك الله يجزي الظالمينا
فكم اضرمت في الاحشاء نارا	وكم فجرت من عين عيونا
لعمرك ما ارتديت الفضل لكن	خلعت عواطفا ونبذت دينا

الناظر :

اجد ما ذكرته ام مجـون	ومس ما اصابك ام جنـون
اتزعم لا أبالك ان فضلي	عليه قد قضى الطمع المشين
اذا كنت البريء فلا خبت نا	ر احشاء، ولا كفت جفون

مصطفى آغا

مطالعات

المدن المغربية في اقدم المصادر الجغرافية الفارسية

ترجمة وتعليق : نور الدين الحمداني

التعريف بالكتاب :

كتاب « حدود العالم من المشرق الى المغرب » أقدم مرجع جغرافى فارسى وصلنا عن القرن الرابع الهجرى ، بل هو واحد من أقدم الآثار المكتوبة باللغة الفارسية الحديثة : الفارسية الدرية •

دونه مؤلفه المجهول سنة 372 هجرية ، وأهداه الى الامير ابى الحارث محمد ابن أحمد من الاسرة الفريغونية التى كانت تحكم منطقة قوزقانان ، الواقعة فى الجزء الشمالى من افغانستان اليوم •

وقد مرت النسخة الوحيدة ، التى نقلها بخط جميل أبو المؤيد عبد القيوم ابن الحسن بن على الفارسى سنة 656 هجرية ، بمراحل متعددة لتصلنا اليوم فى طبعة أنيقة ضمن منشورات جامعة طهران •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ففى سنة 1308 هـ التقى المستشرق الروسى أ، ج، تومانسكى (1) بجماعة من البهائيين فى مدينة « عشق آباد » فاظهر عناية بهم ، ورغبة فى دراسة آثارهم وتعلم أصول معتقدهم ، وما لبث أن أصبح لوجوده بينهم دعامة لجميع البهائيين الذين كانوا متمركزين فيما وراء بحر الخزر ، وعندما كانوا يشيدون اول معبد لهم فى عشق آباد المعروف بـ «مشرق الاذكار» كان يشاركهم البناء ويقدم لهم المعونة •

وكان لاسواق مدينة بخارى فى تلك الايام شهرة كبيرة لما بها من مخطوطات نادرة وكتب نفيسة ، ولم يكن تومانسكى ليوفق فى العثور على كتاب «الالوس الاربعة» الذى كلفته الاكاديمية الروسية مع وفد علمى بالبحث عنه • ولكنه يتعرف على أحد أعيان البهائيين فى سمرقند ، فيوكل اليه مهمة مواصلة التفتيش •

وفى الثانى من ربيع الثانى سنة 1310 هجرية يكتب هذا الشيخ البهائى

CAPITAIN A. G. TOUMANSKY (1

في رسالة له الى تومانسكي بما يلي : «لم يكن للجهود التي بذلتها اثناء توقفي في بخارى باحثا عن كتاب «الالوس الاربعة» أي فائدة ، الا اني تمكنت من الحصول على مجموعة قديمة تشتمل على أربع رسائل ، احداها في الجغرافيا تتصدرها خارطة والثانية في الجغرافيا أيضا بها ذكر لاسماء مدن لا نعرف عنها الكثير ، وقد كتبت الرسالة قبل 943 سنة واستنسخت قبل 808 سنة ، والثالثة رسالة مختصرة في الموسيقى ، والرابعة : جامع العلوم للامام فخر الدين الرازي » .

فما كان من تومانسكي الا أن قصد بخارى لملاقاة صديقه الذي أهدى له مجموعة الرسائل على شرط أن تطبع خدمة للعلم ، وأن تحفظ في الخزائن الكبرى .

وتشغل تومانسكي مهامه العسكرية عن طبع كتاب « حدود العالم » الى ان تدركه الوفاة ، مكتفيا بنشر فصلين عن الصقالبة والروس مع ترجمتهما الى الروسية .

وتبقى النسخة في يد زوجة تومانسكي مع ما ترك لها زوجها من ميراث ، فترحل بمخلفات زوجها الى القسطنطينية ... الا أن النسخة تصل الى يد مينورسكي الذي كان يحرر في مجلة باللغة الروسية تصدر في باريس ، فيكتب منها الى اكاديمية لينينقراد يحرضها على شراء النسخة من السيدة تومانسكي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعندما وجدت هذه السيدة أن الثمن الذي تعرضه لينينقراد افضل من اثمان مؤسسات كثيرة اخرى توافق على ارجاع النسخة الى روسية حيث يتولى مينورسكي المذكور ترجمتها بأسلوب أدبي رائع الى الانقليزية لتتماشى مع النص الفارسي الذي يعد أثرا أدبيا نادرا ، أقدم تاريخيا من شاهنامة الفردوسي .

ويأخذ بارتلد على عاتقه مهمة طبع الكتاب ، الا أن المنية تعاجله هو الآخر قبل البداية في طبع نص الكتاب ،وبعد الفراغ من اخراج مقدمة ذات 32 صفحة وفهرست من 11 صفحة .

وفي سنة 1930 ميلادية ، صدر الكتاب كجزء من منشورات اكاديمية العلوم السوفياتية باسم بارتلد ، وعن هذه النسخة أخذت طبعة الكتاب الاولى في طهران والثانية التي نترجم عنها هذا الفصل (1) الخاص بمدن المغرب .

---

(1) بعناية الدكتور منوجهرستوده ، منشورات جامعة طهران رقم 727 — مطبعة الجامعة 1320 هجرى 1962 م

محتوى الكتاب :

يضم كتاب « حدود العالـم مـن المشرق الى المغرب » بين دفتيـه تسعـة وخمسين حديثا ، ومقدمة يذكر فيها اسم الامير المهدى الكتاب اليـه وسنـة التأليف ، والغرض منه : «٠٠٠ فيه وصف للارض وحالتها وبعض عمرانها وقفارها ، وجميع نواحيها ، وملوكها وبما اشتهروا به من رسوم ، واحوال كل قوم وبما امتازوا به ، ومنتوجات كل ناحية ٠٠» ويخص الاحاديث السبعة الاولى بـ — 1) موقع الارض وعمرانها وقفارهـا — 2) البحـار — 3) الجزر — 4) الجبال — 5) الانهار — 6) الصحارى — 7) مناطق العالم ٠

ثم يفصل الحديث عن كل ناحية من نواحي العالم المعروفة فى عصره فيبدأ بالصين ثم الهند ثم التبت الى ان يصل ايران فيخص كل مدينة او مقاطعـة بحديث أكثر تفصيلا من أحاديث أقاليم العالم الاخرى ، ثم ينتقل الى الكلام عن العرب ، فى جزيرتهم ، وشامهم ، فى مصرهم ومغربهم واندلسهم فيتبسط اذا ما تحدث عن جيرانه منهم ، ويبدو اجماله كلما نأى عن حدود وطنه أكثر فاكثر ٠ ومن العرب ينتقل الى الروم فسكان اروبا الوسطى ومنها الى الزنوج والحبشة وبلاد النوبة ٠

وفى الخاتمة يذكر انه عد فى الكتاب : « ٠٠٠ نواحى العالم ومن يعمره من مسلمين وكفار ، من مشرقه ومغربه ، من شماله وجنوبه ، حشوناه بالمعلومات بعد أن نظرنا فى كل الكتب ٠٠٠» وفيها أيضا ذكـر لبطليمـوس ولمنجمين بعده ، فى جملة لم تقرأ ، ولعله يريد أن يثبت اعتماده على بطليموس ومن جاء بعده من علماء !

http://Archivebeta.Sakhrit.com

نص من الكتاب ترجمه صاحب المقال :

الكلام عن ناحية المغرب ومدنها

هى الناحية التى شرقها مصر ، وجنوبها الصحراء التى تشرف فى آخرها على ناحية السودان ، ومغربها بحر الاقيانوس المغربى ، وشمالها بحر الروم وهى الناحية التى تتوسطها صحار كثيرة ، وجبال قليلة جـدا ٠ وسكانهـا سود وسمر ، وفيها مناطق كثيرة ، ومدن وقرى ، وفى صحاريها كثير مـن البربر ، لاعد لهم ٠ وهى ناحية حارة يوجد بين رمالها معدن الذهب بكثرة ، وأغلب تجارتهم به ٠

1) مدينة طرابلس :

اول مدينة فى افريقية كبيرة وعامرة ، وتقع على ساحل بحر الروم ، كثيرة السكان ، وملتقى لتجار الروم والاندلس ، ويوجد بها كل ما اتى به البحر ٠

2) المهديـة :

مدينة كبيرة واقعة على بحر الروم ، ومتصلة بحدود القيروان ، فيها نعم

وتجار عديدون من أماكن مختلفة ٠

3) برقــة :

مدينة كبيرة ، بها ناحية تربطها بحدود مصر ، غنية وتجارها كثيرون ويقيم فيها باستمرار جيش عظيم ٠

4) القيروان :

مدينة عظيمة ، وليس فى كل المغرب مدينة أكبر أو أعمر أو أثرى منها وهى قصبة المغرب ٠

5) زويلــة :

مدينة كبيرة تقع على مشارف صحراء السودان ، يكثر فيها وحولها البربر وهؤلاء البربر فى صحارى المغرب كالعرب فى البادية ، ارباب انعام ، وأهل ذهب ، ولكن العرب بالانعام أقدر ، والبربر بالذهب أمهر ٠

6) تــونـس :

مدينة من المغرب على ساحل البحر ، اول مدينة تواجه الاندلس ٠

7) فرسانــة :

مدينة خضراء ، كثيرة الثراء ، سكانها خليط ، مالهم كثير ، وهذه المدينة قريبة من القيروان ٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

8) سطيف :

مدينة كبيرة كثيرة السكان والذهب قليلة النعم ٠

9) طبرقــة :

مدينة على ساحل بحر الروم يكثر بقربها على الساحل معدن المرجان بغزارة لا مثيل لها فى أى مكان آخر من العالم ، كما فيها عقارب كبيرة الحجم فتاكة لادغة ٠

10) تنس : (او تنس)

مدينة عظيمة على شاطىء البحر ، عامرة ، كثيرة الخيرات والسكان والمال ٠

11) جزيرة بنى رعنى : (او بنى رغنة)

مدينة يحيط بها البحر من ثلاث جهات ، حولها كثير من البربر ٠

12) نــاكــور :

مدينة تشبه تنس

13) تاهرت :

مدينة عظيمة لها ناحية منفصلة عن عمل افريقية ، كثيرة الثراء ٠

14) سجلماسة :

مدينة منبسطة على حافة صحراء السودان بين الرمال ، وفى هذه الرمال معدن للذهب ، وهى مدينة من جميع نواحيها معزولة عن العالم ٠ قليلة النعم كثيرة الذهب ٠

15) بصيرة :

مدينة على ساحل البحر مقابل جبل طارق ، كثيرة الخيرات ٠

16) ازيله : او أزيله

مدينــة كبيرة ذات قلعــة حصينة جــدا ، وهى أنأى مدينــة قصدوهــا من الاندلس ٠

17) فـــاس :

مدينة عظيمة ، قصبة لطنجة ، ومقر للملوك ، كثيرة الاموال ٠

18) سوس الاقصى :

مدينة على ساحل الاقيانوس المغربى ، هى آخر مدينة من عمران هذا العالم فى المغرب ، عظيمة ، ذهبها لا يقدر ، وأهلها بعيدون عن طباع الناس ، وقليل ما يقصدها الغريب ٠ وتكثر فى منطقــة البربر من سـنوس النمــور ، حيث يصطادونها ويصدرون جلودها الى البلدان الاسلامية ٠

ترجمة وتعليق : نور الدين الحمدانى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تصحيـــح خطـــا

ورد فى مقال « ويسألونك » للبشير المجدوب خطـا هذا صوابه :
« فانه لا يعييك ان تستشف بدلا من » أن تستنشق ٠

اضواء الفكر

• ذكريات الجلاء

بمناسبة زيارة السيد رئيس الجمهورية لبعض مدن الساحل فى الاسابيع الاخيرة تقدم له الاستاذ الفاضل والاديب الكبير محمد الهادى العامرى بمخطوط قيم اهداه اياه أثر المادبة التى تراسها فخامته بمدينة المكنين وتلا عليه المقدمة الطريفة التى اعجب بها كل الحاضرين .

اما عنوان الكتاب فهو « ذكريات الجلاء » وفيه دراسات ضافية عن الابطال الذين حرروا هذا الوطن من ربقة الاحتلال والظلم وعلى راسهم الرئيس الحبيب بورقيبة الذى كافح أكثر من ثلاثين سنة لتخليص هذه البلاد من خطر الفرنسة ولارجاع حريتها واستقلالها .

بارك الله فى جهود العاملين واخذ بيدهم ليواصلوا جهادهم .

• الدين مع العلم والاخلاق

بمناسبة ليلة السابع والعشرين من رمضان المعظم القى الشيخ الاستاذ الفاضل بن عاشور عميد كلية الشريعة واصول الدين ومفتى الديار التونسية محاضرة بالمسرح البلدى حضرها السيد رئيس الجمهورية وثلة من رجال الدين والعلم والسياسة وحلل فيها مفهوم الدين وكيف أنه لا يتنافى بل يشجع العلم وكيف أنه يدعو الى الاخلاق الانسانية مما يحقق سعادة الافراد والجماعات .

وقد قدم المحاضر السيد كاتب الدولة للتربية القومية الاستاذ محمود المسعدى بكلمة بليغة جاء فيها :

لتسمحوا لى ان اقدم ببعض الكلمات للمحاضرة التى سيلقيها بعد لحظات بين ايديكم الاستاذ الفاضل بن عاشور عميد كلية الشريعة واصول الدين احياء لليلة القدر من شهر رمضان المبارك

ذلك ان الصبغة الجديدة التى يكتسيها ابتداء من هذه السنة بهدى من فخامة الرئيس احياء هذه الليلة المباركة السعيدة لحرية بان يوضحها تنم عليه من أرادة بعث وتجديد لسنة من سنن الحياة الدينية وتحويل لمجرى من مجارى الحياة الفكرية فى هذه البلاد وما اصبحت تنطوى عليه من معان سامية بعد ان أمر فخامته بأن لا تستمر اقامة اختتام الحديث الشريف فى رمضان ــ وخاصة ختم ليلة السابع والعشرين على الطريقة العتيقة التى جمدتها الاحقاب وصيرتها من التقاليد الفاقدة للروح المحصورة النطاق الخالية من الاشعاع .

ولا غرو فانكم ــ يافخامة الرئيس ــ لا تزالون تقيمون الادلة المتجددة على انكم جعلتم للرئاسة التى تضطلعون بها معنى الامانة فى مفهومها الاصيل الكامل الشامل فتوجيهاتكم وعنايتكم لم تتجه الى المسائل السياسية والاقتصادية والاجتماعية دون غيرها بل شملت كذلك الناحية الاخلاقية والناحية الروحية من حياة الامة . وقد سرتم فى هذا الصدد على منهاج الايمة المجددين المجتهدين واردتم ان يقوم بعث المجتمع الافضل الذى جعلتموه هدفا ــ للاشتراكية الدستورية ــ على اساس التوفيق بين مقتضيات الناحية الفنية والصناعية والاقتصادية والاجتماعية من المدنية الحديثة وبين الناحية الدينية والاخلاقية التى هى خلاصة الجوهر الثابت الباقى من تراثنا الحضرى العربى الاسلامى .

فبينتم بذلك مدى تعلقكم بمبدأ التوازن الذى جاء به الاسلام بين القيم الروحية المتجاوزة لحدود الزمان والمكان وبين الحياة العملية الانشائية التى لا تكون بدونها مدنية بشرية •

وقد لاحظتم أن من بين مظاهر تخلفنا تخلفا فى الحياة الدينية اقعد ديننا الاسلام عن الثبات فى عصرنا الحاضر كمقوم ناجع من مقومات وجودنا الفعلى وكسبب من اسباب مناعة المجتمع الافضل الذى نصبو اليه •

ولعل سبب ذلك يرجع فيما يرجع الى ان عصور الانحطاط والجمود قد قضت على الدين بان يحرم نفسه ويحرم المجتمع فى امكانيات الاجتهاد الخصبة من ناحية وبأن ينزوى من ناحية اخرى حتى يجد نفسه غريبا عن الحياة الواقعية للبشر حتى تلاشت شيئا فشيئا صلته بخضم الحياة الانسانية الزاخرة بمشاكل البشر والتجأت مظاهر النشاط الدينى الى عقر المساجد واصبحت كانها مقصورة على المصليات والمعابد او زوايا الطرق الصوفية المزيفة بينما يشهـد التاريـخ ان المسجد نفسه لم يكن فى صدر الاسلام بمعزل عن حياة الامة بل كان قلب المدينة النابض ومركز حياتها العامة وملتقى الجمهور من الامة مثله فى ذلك مثل «الفوروم» فى المدينة الرومانية وكانت تبلغ صلته بالحياة العامة الى درجة ان بعض المعاملات الاقتصاديـة من بيـع وشراء كانت تجرى احيانا فى رحاب المسجد نفسه .

ولئن قضى رقى المجتمع الانسانى والتطور التاريخى المحتوم على مثل هذا الشكل البدائى البسيط من الاتصال المباشر بين الحياة الدينية والحياة الدنيوية فان العبرة من ذلك باقية والمبدا قائم الا وهو ان الاسلام قد جعل من الدين عنصرا ملازما للحياة العامة متصلا بها اتصالا مباشرا •

وتلك الصلة الواجبة هى التى تفرض على الدين ان يخرج من عزلته فى المعابد والمصليات وان يتخلص من جموده فى الاذكار والروايـات وان يسترجع مكانتـه فى الحيـاة الشاملة حتى يجـد نفسه فى مقامه دون تحرج اذ هو اختار لمظاهر نشاطه مواطن غير المساجد او الزوايا وخرج الى العصر ولابس فى المجتمع أنواع النشاط الحيوى الاخرى واشـع من نوره على مشاكل الساعـة وساهم بقسطه فى تكييف الاصلح لمصير الامة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهذا الذى لا تزالون ـ يا فخامة الرئيس ـ تشيرون به وتهدون اليه حتى ينطلـق الدين من الجمود والانزواء الى الاجتهاد والاشعاع وحتى يسترد مكانته من الحياة الروحية ـ من حياة هذه الامة ـ على انه احد مقومات وجودها الاصلية واحد عوامل رقيها يمثل فيها الجانب الروحى من نهضتها الشاملة •

وعلى ضوء هذه التوجيهات السامية من قبلكم والنظرة البعيدة فى المصير الافضل للامة التى هى نظرتكم قام التنظيم الجديد ـ للكلية الزيتونية للشريعـة واصـول الدين ـ حين اصبحت العلوم الدينية تدرس وتدرس فى النطاق الجامعى الحديث على صعيد واحد مع العلوم الاقتصادية والعلوم السياسية والعلوم الصحيحة والفنون والهندسة وحين اوكل ـ للكلية الزيتونية الجديدة ان تصبح مركزا لاشعاع التفكير الاسلامى الحقيقى وتخرج فى المستوى العالى وعلى المعنى العلمى الصحيح نخبة من علماء الاسلام العصرى الحى نخبة يكونون من المجددين القادرين على ان يردوا للقيم الروحية والتفكير الدينى مكانهما وتاثيرهما الفعال فى تطوير حياة الامة وعلى ان ينموها فى مجابهة مشاكل الانسان فى نطاق المدنية الحديثة وهى متسلحة لذلك بالقيم الاخلاقية ـ قيم الدين المتجدد ـ بتجدد الحياة القادر على القيام بدوره الانشائى المخصب فى خلق حضارة عربية اسلامية جديدة عصرية واصيلة •

وفى نطاق نظرتكم هذه البعيدة الى ما ينبغى أن يكون للدين وقيمه الروحية الباقية من تاثير فى تطور الامة وملابسة لحياتها الواقعية تعلقت همتكم ـ يا فخامة الرئيس ـ بالاشراف على هذا

الحفل وبالاستماع الى هذه المحاضرة الدينية الرمضانيـة التى جاءت مجددة للسنـة سـواء فى موضوعها المتصل بمشاكل الحاضر او فى مكان القائها المكتظ بنخبة وفيرة من جميع عناصر الامة

ولكم فى الختام يا فخامة الرئيس على ما اوليتم من التوجيه والتجديد ومن التشريف بالحضور والاستماع اصدق عبارات الشكر والامتنان •

◆ ندوة فى مسألة الاخلاق

نظمت شعبة الاساتذة يوم الثلاثاء 4 فيفرى ندوة اخلاقية تحت شعار (بعثت لاتمـم مكارم الاخلاق) فى دار الثقافة بالعاصمة • وشارك فى هاته الندوة السيدة راضية الحداد والسادة محمد بن عمارة والهادى البكوش ومحجوب بن ميلاد والمنجى الشملى والحبيب الشاوش وطرق المشاركون جوانب متعددة من هذا الموضوع وتعرضوا الى المسائل الاخلاقيـة عموما والقضايا الاخلاقية فى المجتمع التونسى ووسائل غرس المفاهيم والقيم الاخلاقية السامية •

وانتظمت حلقة ثانية بدار المسرح يوم الخميس 20 فيفرى 1964 شارك فيها السادة محمد مزالى والشاذلى الفيتورى وعبد المجيد عطية وعبد الوهاب بوحديبة والسيدة فاطمة الحداد •

◆ مرحبا بالرسم النسائى

تم يوم الاثنين 3 فيفرى بالنادى القومى النسائى تدشين معرض للرسم بحضور عدد كبيـر من المسؤولين والسلك الديبلوماسى . والقت بهاته المناسبة السيد فتحية مزالى رئيسة النادى كلمة جاء فيها : « ينظم للمرة الاولى معرض نسائى للرسم ولـم يطلب من المشاركات تقديـم لوحات حول موضوع معين ، والآن وبعد نجاح هـذا المعرض وتاكد امكانية مساهمـة المراة فى تطوره سنحدد فى الفرصة القادمة موضوع العرض •

ورغم تباين وجهات المشاركات ووجود من تعرض لاول مرة فقد كان مستواهن حسنا ومنهن من هى على جانب كبير من البراعة والدقة والذوق السليم . ومما يذكر ان نبيلة بحرى نجحت فى اختيار الالوان فى لوحتها « الدقازة » كما تعبر السيدة الكافى فى لوحتها « العذارى » عن احساسات شخصية صادقة وكذلك مريم عزرية فى « الزوجان » ونعيمة مالـوش فى « الطبيعـة الخالدة » •

وهذا ما يبشر بنهضة ثقافية وفنية فى اوساطنا النسائية .

◆ ان بعض «الفن» جنون

بينما تعمل كتابة الدولة للشؤون الثقافيـة والارشاد على رفـع مستـوى الفنـون الشعبيـة وتهذيبها حتى تصبح مشرفة لبلادنا وعاملة على تهذيب ذوق شبابنا نرى فى شهر رمضان بعض صالات « الطرب » فى باب سويقة تحيى سهرات فنية توصف (بالشعبية) فى حين انها لا تمثل سوى انحطاط فى الاخلاق بما تقدمه من رقصات ارتجالية ماجنة وخليعة احيانـا مثيرة بذلـك غرائز الفتيان والشبان المتهافتين عليها يشجعهم الثمن الزهيد المطلوب للحصة •

ولا يتزاحم المتفرجون من اجل الوصلة من الغناء المشحوذ نشازا والمقدم باصوات بعيدة كل البعد عن الطرب بل لمشاهدة الحركات الخليعة بينما تتعالى اصوات الشبان من كل جوانب الصالة مخاطبة الراقصة بعبارات لا احتشام فيها ولا حياء متلفظة ببذاءة القول وزيف الكلام •

وحفظا لمكارم الاخلاق وصيانة للفن الشعبى البرىء فاننا نهيب بمن لهم النظر بان يشددوا المراقبة الصارمة على هذه الرقصات فى الصالات المذكورة •

◆ تجربة حول حظ التربية البدنية والرياضية من برنامج التعليم

القى على منبر ادارة الشباب والرياضة السيد « هوقى » المتفقد العام بكتابة الدولة للشباب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

والرياضة بفرنسا محاضرة يوم الاثنين 3 فيفري بدار المسرح حول التجربة الفرنسية المتمثلة في اعطاء حظ اوفر للتربية البدنية والرياضية من برنامج التعليم • والغرض من هاته التجربة التنقيص من الساعات المخصصة للتعليم مع احترام البرنامج الرسمي واعطاء الحركات البدنية جانبا اوفر من الوقت ، فيمكن بذلك تنمية الجسم تنمية احسن وبالتالي الحصول على انتاج فكري اكبر •

ثم شرح السيد « هوقي »التجربة متحدثا عن النظام التطبيقي ووسائل العمل وجدول أوقات القسم التجريبي (19 ساعة ونصف للمواد الفكرية و 17 ساعة ونصف للنشاط البدني و 4 ساعات للمراجعة) فكانت نتيجة التجربة :

1) من الناحية البدنية : تقوية العضلات وامتداد القامة واتساع الصدر وتحسين الجهاز الهضمي .

2) من الناحية الرياضية : نتائج حسنة للغاية

3) من الناحية الطبية : انعدام الامراض الصغيرة وبالتالي قلة الغياب •

4) من الناحية المدرسية : نجاح في امتحان الشهادة الابتدائية بنسبة 93%

5) من الناحية النفسية والاخلاقية

في القسم : انتباه اكثر ، سرعة الادراك ، مزيد من الصداقة بين الاطفال ؛ ثقة في النفس •

بالمنزل : نشاط وحماس وانقياد وحسن المعاشرة •

وهكذا تتاكد الفكرة القائلة بان التنقيص من اختلال التوازن الموجود بين النشاط البدني والعمل الفكري يمكن من الحصول على انتاج تربوي احسن .

وبعد ان تحدث السيد هوقي عن اتساع رقعة التجربة الفرنسية ونتائجها الايجابية واصل متحدثا عن مصير التربية البدنية في تونس بعد الاتصالات والزيارات التي اجراها فقال : لقد بهرت بالمجهود المشكور الذي يقوم به المسؤولون التونسيون في هذا النطاق وتنبا بجيل جديد قوي البدن قوي الفكر قادر على مواجهة الحياة •

واستدل السيد هوقي في حديثه على اهتمام تونس بالتربية البدنية بخطاب فخامة الرئيس الذي القاه يوم 28 جويلية 1962 والذي خصصه لهذا الموضوع •

• الاديب فوزي الميلادي

يقوم الاديب فوزي عبد القادر الميلادي باعداد دراسة عن «القصة والمسرحية في شمال افريقية» بعد ان فرغ من كتابه الاخير «ادباء من شمال افريقيا» وهو يرجو من ادباء الجمهورية التونسية الذين لهم انتاج ادبي منشور ان يتفضلوا بموافاته بمؤلفاتهم بالبريد الجوي على العنوان التالي :

المنزل رقم 26 طريق 26 يوليو الاسكندرية ـ الجمهورية العربية المتحدة

• ماوتسي تونغ والسياسة والشعر !•••

صدرت الصحف الصينية اخيرا وليس في صفحاتها الاولى اي خبر سياسي ، بل مجموعة من القصائد الجديدة التي نظمها الزعيم الصيني ماوتسي تونغ ،

يقول في احدى القصائد :

« امام الجدران بضعة ذبابات
تهمهم بالطنين ، والاصوات الضعيفة

والنـــواح الحـــزين ..
وعـلى شجـرة كبيرة ..
تزحف بعض النمال »

ويعتقد بعض الناقدين ان الشاعر يشير الى محاولات القادة الشيوعيين المناوئين لسياسة الصين ويصفها بالعقم ، فهم كطنين الذباب امام الجدار الكبير ، فلا هم قادرون على اختراقه ؛ ولا على هدمه ، أو تغيير حقيقته .

ويقـول فى قصيـدة اخـرى :

« الهواء الساخن يحبس الانفاس
عبر الارض الواسعة ..
ولكن الابطال وحدهم ،
يسوقون النمور والاسود ،
الى البعيـــد ..
والرجال الانيقون المخنثون
هم الذين يخافون الدببة »

والرمز فى هذه القصيدة اكثر وضوحا .

فلعله يقصد ان «الدب» خروتشوف يخشى «النمر الامريكى» ؟ وعلى كل فقد علق خروتشوف على هذه القصائد بقوله :

« لو ان «ماو» استمر فى نظم الشعر وترك السياسة لافاد الادب والسياسة معا » .

◆ طه حسين يدلي برأيه في بعض القضايا

جاء فى جريدة « الاخبار » المصرية :

قال عميد الادب العربى رأيه بصراحة و «باخلاص» فى عدد كبير من القضايا العلمية والفنية المعاصرة .! فتح طه حسين النار فى اكثر من جبهة ، هاجم التعليم الجامعى قائلا انـه اصبح ضحلا .! هاجم التعليم الازهرى قائلا انه اصبح سطحيا .! هاجم الموسيقى العربية قائلا انه لم يسمع منها شيئا منذ قصائد ابو زيد الهلالى التى كان يسمعها فى الارياف ..! هاجم التليفزيون والاذاعة قائلا انهما من الوسائل الجماهيرية ولكنهما لا تقدمان الثقافة للخاصة ..!

هاجم المسرح قائـلا : انه لا يشاهد مسرحيات الا عندما يسافر للخارج ..! هاجم الادباء الشبان الجدد قائلا انه لا يقرأ لهم الا ما يرسلونه لكى يعلق عليه ولكنه يجده ضحلا لا يستحق التعليق ..! واخيرا فتح النار على زميله العملاق توفيق الحكيم قائلا : انه يحب (التقاليع) وان مسرح « اللامعقول » الذى اتجه اليه غير مفهوم ولا يبعث حتى على الضحك .!

ان طه حسين عندما يناقش هذه القضايا الهامة فانه يتحدث ومن خلفه تجربة ثقافية عمرها 75 عاما .. وعمقها ليس له حدود !

رأى توفيـق الحكيـم :

ولما سئل توفيق الحكيم عن رأيه فيما قاله طه اجاب بقوله : ان اعظم تحية يمكن ان يؤديها قارئ لى هى ان يقول لى انه لم يفهم مسرحية (يا طالع الشجرة) فانا شخصيـا لا افهمهـا .. وطه حسين اديب عظيم وصديق ومفكر جاد فاذا قال انه لم يفهم هذه المسرحية ، فانا اقف الى جواره ، انضم اليه لاننى شخصيا اواجه الغازا ومشاكل لا اجد لها اى حل ولا اجد نفسى قادرا على فهمها لانها فوق العقل .. أو ان العقل ليس هو الاداة الوحيدة القادرة على فهم الكون ، ولا الاداة القادرة على معرفة الحل لهذه الالغاز ..

• توفيق الحكيم ••• فى دار الثقافة •• بالفرنسية !

طالعنا فى الصحف اليومية ـ لان مجلتنا لم يقع دعوتها كالعادة ! ـ ان الاستاذ حمادى بن حليمة ، المبرز فى الاداب العربية ألقى على منبر دار الثقافة محاضرة حول « توفيق الحكيم الكاتب المسرحى » باللغة الفرنسية واذ لا يمكن ان نتصور ان الاستاذ ابن حليمة هو الذى آثر التكلم بالفرنسية وهو الذى قدر قراؤنا الكرام قيمته وأسلوبه الراقى فى المقالات الشيقة التى نشرها فى مجلة « الفكر » بالذات ، فاننا نتساءل لماذا تتجه دار الثقافة (•• القومية ؟) هذا الاتجاه ؟

فانه اذا كان من المستحسن بل من الضرورى افساح المجال للاجانب الضيوف وحتى للتونسيين العاجزين عن التكلم بالعربية الفصيحة ـ وهم مع الاسف كثيرون خاصة فى ميدان العلوم والفنون ، نتيجة للسياسة الاستعمارية التى كانت ترمى الى قتل العربية وتجميدها وايهام ابناء الوطن بأن لغة الحياة انما هى لغة •• الاسياد ! ـ القاء محاضراتهم وأسمارهم باللغة العربية التى يحذقونها فاننا لا نفهم لماذا يطلب من حمادى بن حليمة أن يحاضر بالفرنسية ؟

لا نظن اننا بذلك نمهد الى عهد •• سعيد للثقافة العربية فى هذه الديار !

• الادب العربى •• وهل يصبح ادبا عالميا ؟

لا ريب فى أن الادب العربى قد خطا فى الآونة الاخيرة خطوة جبارة نحو السمو والابداع . وحين اذكر الادب العربى ، اعنى به على وجه اخص ما يصدر فى لبنان ومصر ، فقد استطاع بعض الادباء اللبنانيين والمصريين أن يقدموا لنا فى ربع القرن الاخير ادبا اتصف بدقة التعبير وقوة الفكرة وجمال الاسلوب ، فاستطاع بعض هذا الادب أن يخرج من نطاقه الضيق ، وأن يترجم الى اللغات الاوروبية • ومن الادباء المصريين الذين ترجمت آثارهم الى الاجنبية الاساتذة طه حسين وتوفيق الحكيم ومحمود تيمور • ومن الادباء اللبنانيين ترجم للاساتذة سعيد تقى الدين وميخائيل نعيمة وتوفيق ويوسف عواد • كما ترجمت بعض روايات الروائى السورى الدكتور شكيب الجابرى

وهناك ادباء آخرون نقلت لهم كتب ومقطوعات ، اخذ كتاب الغرب يلمسون فيها شيئا يستحق المطالعة والالتفات •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذه خطوة اولى يخطوها الادب العربى الحديث نحو عالميته ، التى اخذ يتطلع اليها فى شوق وحسرة • وهنا لابد لنا من أن نتساءل •

امن الممكن أن يصبح الادب العربى ادبا عالميا ، يترجم الى جميع اللغات ، وتتذوقه جميع الامم ، كما هو شأن سائر الآداب الاخرى ؟ للاجابة على هذا السؤال لابد لنا من أن نلقى نظرة على ماضينا الادبى ، كى نأخذ منه عبرة للمستقبل .

فى خلال الف واربعمائة سنة أو تزيد ، ترك العرب تراثا أدبيا غزيرا ، يبدا ولا يكاد ينتهى لكثرته • ومع ذلك فما الذى ترجم من هذا التراث ؟ اغلب الظن ان ما ترجم من هذا التراث ـ اذا استثنينا التراث العلمى والفلسفى ـ لا يكاد يزيد عدده على عدد اصابع اليد الواحدة اذكر منها القرآن الكريم الذى ترجم لقيمته التاريخية والدينية ، والف ليلة وليلة وكليلة ودمنة ، والكتابان الاخيران ، كما هو معلوم ، ليسا من وضعنا ؛ بل مما نقلناه فبقى وضاع الاصل

وهناك مقطوعات ومنتخبات وكتب ترجمت الى اللغات الاجنبية ، نقلها المستشرقون الى الانكليزية والالمانية والروسية ، وبعض اللغات الاجنبية الاخرى •• نقلت الى هذه اللغات كنماذج من الثقافة العربية والادب العربى . واغلب الظن ان جهد المستشرقين الذين نقلوا هذه الآثار ذهب ادراج الرياح ، لانها ظلت فى زوايا بعض المكتبات الخاصة لم يتناولها جمهور • ولم يقبل عليها قارىء • واذا اتيح لها من يطالعها فانه لا يفيد منها شيئا ، لانه لا يتذوقها، ولهذا لم يحصل ادبنا على الفائدة المرجوة ، ولم يلق الرواج عند امم الغرب •

هذا اهم ما ترجم من ادبنا الى ادب الغرب فى الماضى . ولكن لماذا لم تترجم دواوين الشعراء التى ملات المكتبة العربية ؟ ولماذا لم تترجم رسائل عبد الحميد الكاتب وابن المقفع

وابن زيدون ؟ لماذا لم يقع اختيار المترجمين على هذا التراث ، ووقع على الف ليلة وليلة وكليلة ودمنة ؟

الرأى عندى أن هذين الكتابين أقرب الى روح الفن من سائر ما تركه الاقدمون من تراث • فالشعر العربى ورسائل ابن المقفع وابن زيدون وعبد الحميد الكاتب وغيرها من الآثار ، تكاد تكون ادبا لفظيا ، لا يبدو جماله ، ولا تتجلى روعته وسحره الا فى لغته الاصلية ، فاذا ما تجاوزها فقد ميزاته فاسف وسقط • وهذا الادب عدا ابتعاده عن روح الفن ، بعيد عن قوة الفكرة وجمالها وتنوعها ، وهو أدب رتيب ، ذو نغم واحد ، لا يشعر بجماله ولا يتذوقه الا العربى فى لغته العربية •

ولنحاول نحن ان نترجم شيئا من مديح المتنبى لسيف الدولة ، او أبياتا من فخر عمرو بن كلثوم بقبيلته وقومه ، او غير ذلك من الشعر ، ولنقراه مترجما الى لغة اجنبية ، فهل نشعر باللوعة التى نحسها ونحن نطالعه بالعربية ؟ وهل نجد له وقعا يهزنا ، كما لو قرأناه فى احدى لغات الغرب ؟ والجواب سلبى دون ريب .

هذا موقفنا نحن الذين قراناه وتذوقناه من قبل بالعربية •• ترى اية لذة يجدها الغربى ، اذا ما اتيح له ان يقرأ هذا الادب مترجما ؟ بل هل يجد الغربى الآن بعض الهزة والروعة التى نشعر بها نحن حين نسمع القرآن الكريم نفسه بلغته التى انزل فيها ؟

اذن فما ظلمنا الاوروبى حين اعرض عن ادبنا وترجم آثار هوميروس وسوفوكليس وغيرهما من ادباء اليونان الاقدمين .

نعود الى حاضرنا لننظر فى الآثار التى تترجم الى اللغات الاجنبية • فاما آثار توفيق الحكيم فلا شك انها آثار عالية ، لا تقل فى بعض الاحيان عما نطالعه لاندريه جيد مثلا من كتب ومؤلفات وكتب توفيق الحكيم التى ترجمت هى : عودة الروح ، شهرزاد ، اهل الكهف ، يوميات نائب فى الارياف وغيرها •• وقد قرات هذه الآثار كلها ، واشهد انها آثار قوية فى فكرتها ، رائعة فى فنها وحوارها وسبكها •

وما نقوله عن توفيق الحكيم نقوله عن طه حسين ومحمود تيمور ، فكتاب الايام لطه حسين قصة حياة تنبض بالقوة والابداع . وكذلك قصص تيمور ، لا تقل فى بعض الاحيان عن قصص موباسان الذى احبه الغرب والشرق على السواء • من هنا نجد أن الادب الذى يطمح ان يكون ادبا عالميا يجب أن يكون متصفا بكل عناصر القوة ، والروعة ، التى تؤهله لان يتبوأ هذا المنصب الرفيع •

فهل نستطيع ان نجعل من ادبنا أدبا عالميا يقراه الشرقى والغربى على السواء ؟ ان هذا متوقف على ادبائنا انفسهم ، ومدى موهبتهم وثقافتهم •

اعتاد الاديب العربى فى بلادنا ، واعنى البلاد العربية قاطبة ، ان يبدا بالنشر عندما يجد فى نفسه المقدرة على نظم بيت من الشعر ـ وان كان محطم الاوزان ، او انشاء السطور ، ولو كانت سخيفة ـ فى شكوى الحب والغرام •• وعوضا من أن يقابل هذا النتاج بالتخريف والقذف به فى سلة المهملات ، يتاح له فى بعض الاحيان من يتوسط له لينشر على الناس • وتتكرر الكتابة وتتكرر الوساطة • وبعد شهور قليلة يمسى صاحبنا اديبا كبيرا ، وهو لا يملك فكرة يؤديها ، ولا رأيا سليما يدافع عنه • وما زاده وعتاده فى الادب سوى مطالعات فارغة فى كتب رخيصة ، وصحف مبتذلة ، لم تنشأ الا لتزجية الوقت ومحاربة الثقافة الصحيحة •

هكذا يعيش كثير من الادباء ، وهكذا ينشاون • ولو اتيح لهم من يتعهدهم من كبار الادباء ويأخذ بيدهم ويقدم لهم النصح والارشاد ، لقسا عليهم ، ولقذف بوجوههم بهذا النتاج

الرخيص ، بدلا من التوسط لنشره ولفعل معهم كما فعل الروائى الفرنسى «غوستاف فلوبير» مع تلميذه «موباسان» :

يحدثنا رونيه دومسنيل فى كتابه « غى دو موباسان » فيقول ان موباسان تتلمذ على فلوبير مدة سبع سنوات لقنه خلالها أصول الفن الحديث وقواعده العلمية الصحيحة · حتى ان موباسان كتب بعد ذلك يقول : لقد اشتغلت مع فلوبير مدة سبع سنوات لم انشر خلالها سطرا · وفى غضون هذه السنوات السبع أعطانى معلومات أدبية لم احصل عليها بعد اربعين سنة من التجارب » لقد اخذ فلوبير بيد تلميذه وراضه على الكتابة والاجادة ، وكان طوال هذه المدة يقرأ نتاج التلميذ فينقده ، ثم يقذف به الى النار ، ويقدم له النصح والإرشاد ·· الى ان استطاع صاحب « مدام بوفارى » أن يجعل من تلميذه أديبا يفتخر به العالم اجمع ·

وكذلك يحدثنا توفيق الحكيم فى كتابه « زهرة العمر » عن نشاته ومزاولته الادب فيقول : انه لما احس بميله الى الادب آوى الى مكتبته فى الغرفة ذات الرقم 48 بشارع بلبور فى باريس يقرأ ويقرأ ·· حتى قرأ كل شىء ·· قرأ آداب الامم كلها وفلسفتها وفنونها ، دون ان يترك فرعا من فروع المعرفة ، لانه يعتقد أن الادب فى هذا العصر يجب ان يكون « موسوعيا » · حتى العلوم والفنون الم باهم نتائجها كالهندسة والطبيعة والفلك وعلم النفس · وقرأ ـ عدا ذلك كله ـ فى المسرحية « المكتبة المسرحية » كلها وكان يتردد عليها كل يوم ·· الى أن التفت صاحب المكتبة ذات مرة فلم يجده ، فحانت منه التفاتة الى السقف فرآه لاصقا فيه ، يبحث فى الصف الاخير من المكتبة عما تبقى فيها من مسرحيات ·

هذه هى قصة توفيق الحكيم ـ الكاتب المسرحى الاول فى الادب العربى المعاصر ـ وتلك هى قصة موباسان ـ الكاتب الاقصوصى الاول فى العالم ـ وامثال هذين الاديبين فى العالم كثير ضحوا من أجل فنهم بكل شىء ، الى أن رفعهم الفن الى الاوج ·

فاين فى ادبائنا الموهوبين من ضحى تضحية توفيق الحكيم وصبر صبر موباسان ؟ انالمطالعة المنظمة تسمو بالاديب الموهوب كل يوم درجة ، الى ان يمسى وقد صار فى الادب ركنا من أركانه ، او دعامة ذات شان فيه ·

ان أدباءنا محتاجون الى المطالعة المنظمة المجدية ، والى الثقافة الواسعة الشاملة التى لا تترك لونا من الوان المعرفة دون ان تلم به وتطلع عليه ، يحتاجون الى المرونة الفكرية، والفهم الحسن ، والهضم الجيد لما يطالعون ، ويحتاجون بالتالى للتخلص من العقلية الرجعية التى تحرم على الكثيرين الاطلاع على تراث الغرب والاشادة به ، والدعاية له ·

ان أدب الغرب الذى يحاربه كثيرون ، داعين الى التمسك بالتراث العربى القديم وحده ، ان هذا الادب قد سما بالنفس الانسانية وارهف حسها ، وجعلها اكثر فهما لحقائق المجتمع · ان اطلاعنا على ادب الغرب اطلاعا واسعا شاملا ، هو الخطوة الاولى لادبنا العربى الذى يخطوها نحو عالميته · فما دمنا لا نطالع آثار الغرب ، من مفكرين وفلاسفة وشعراء وفنانين ، ما دمنا لا نطالع هذا التراث الخالد ، فسنظل فى عزلة عن المجموعة المفكرة فى العالم · سنظل نكتب لانفسنا لا يقرانا سوى عدد محدود من الناس ·

الادب العربى لا يمكن ان يصبح أدبا عالميا ، ما لم ناخذ بالمذاهب الادبية الحديثة ، ونفهمها فهما شاملا ونبنى ادبنا الجديد على اساسها · الادب العربى الحديث لا يستطيع أن يسمو الى آداب العالم المقروءة ، ما لم يتخل ادباؤنا عن « اللفظية المنمقة » لياخذوها بالفكرة الشاملة ·ان الادب اللفظى لا يمكن أن يترجم ، ولا يمكن ان يجد له قارئا واحدا خارج بلاد العرب ، وحتى العربى نفسه لا يفيد من هذا الادب شيئا ، سوى نشوة دقيقة او دقائق ، تاخذه وهو يقرا تلك

الالفاظ المرصوفة والجمل المكروسة في الوان شتى ، ان كان ممن تأخذهم روعة الالفاظ • وأما ان كان من القراء الواعين الذين لا يعنون الا بجمال الفكرة وابتكارها ، فانه يقذف بالكاتب اللفظي الى الجحيم ، لان اللفظ وحده مضيعة للوقت ، لا يخرج منه الانسان بطائل بينما الفكرة هي التي تبقى ، وهي التي يمكن ان تترجم وتنقل الى سائر لغات العالم •

ومن الملحوظ في البلاد الاوروبية انه لا يكاد يصدر كتاب بالانكليزية ، أو الفرنسية ، أو الالمانية حتى يسارع المترجمون ودور النشر الى ترجمته ونقله الى سائر اللغات • وهذا ان دل على شيء ، فانما يدل على تقارب تلك الشعوب وتفاهمها ، سواء بالعادات والتقاليد ، او بالثقافة وطرق التفكير • ولكننا نحن نعيش في عزلة عن هذه التيارات الفكرية التي تهب في الغرب ، فقلما نترجم ما يصدر لنطلع عليه في لغتنا ، وناخذ بالصالح منه • ونادر منا من يطالع بلغة اجنبية . والمهم اننا في عزلة ، لا «نستورد» ولا «نصدر» • والى جانب هذه العزلة الادبية نجد عزلة اخرى ، امر من الاولى وأدهى ، واعني عزلتنا السياسية في بلادنا ـ وللعزلة السياسية شأنها وخطرها الكبير في انتشار ادبنا او عدمه ـ فنحن نعيش بعزلة تامة لا نحاول الدعاية لوطننا في بلاد الغرب ، ولا نسعى الى تعريف الغربي الى ما فيه من جمال الطبيعة وآثار الاقدمين • لا نحاول ان يعرف الغربي ان الامة السورية والعربية مثل سائر الامم ، تأكل وتعيش وتفكر ، وان لها حضارتها المعاصرة وتاريخها الغابر ، ومجدها الوائر • نريد ان يعرفنا الغربي وان نمهد له السبيل لزيارة بلادنا ، كي يتعرف اننا لسنا برابرة كما هو الشائع في بعض بلدان الغرب • نريد ان يعرف الغربي اننا أمة لا تعيش لتأكل ، ولا تعيش لتفكر فحسب ، وانما تعيش وتأكل وتزاول اعمالها ، وتتطلع الى مستقبلها ، وان لها ادبها وفلسفتها وعنايتها بالمسائل العقلية والفكرية والروحية • ان اتصال الغربي بنا على هذا الشكل ، يرغبه بالتعرف الى ادبنا ، ويشجعه على نقله الى لغته •

ان الواجب يدعونا للاتصال بالغربي على اي شكل كان ، فقد يحسن ادبنا ويسمو ، ويظهر فيه ما يصلح للنقل الى بعض لغات العالم • ولكن عزلتنا وابتعادنا عن الغربي يحول دون انتشاره وتمهيد السبيل الى ترجمته ونقله •

وبعد •• فان مستقبل ادبنا واتساع افقه وانتشاره في انحاء العالم متوقف علينا نحن • فان اردناه ان يكون ادبا عالميا يطلع عليه الشرقي والغربي ويتذوقه ابن الضاد والسين والتميز ، كان لنا ما نريده ، وان اردناه ان يظل محدود الافق ، ضيق المدى ؛ لا تكاد تطلع عليه ، سوى فئة قليلة من الناس ، فما علينا سوى ان نظل في عزلتنا القاتلة ، نحارب كل جديد ، ونعادي كل من يقتني كتابا اجنبيا ، أو يدعو الى ثقافة عربية حديثة •

هذا وذاك بيدنا •• فلنختر لانفسنا ما نشاء .

عبد الغني العطري

صاحب مجلة « الدنيا » دمشق

عن نشرية « اضواء » عدد 15 جانفي

• جيل المسرح في لبنان

كتب رفيق خوري في جريدة « الاحد » عدد 667 هذه الملاحظات عن حالة المسرح في لبنان فقال :

بيروت تكاد تتحول كلها الى اقبية للستريوهات ••

يقول البعض أن من الافضل ان تكون عندنا اقبية للذة من ان تكون عندنا اقبيـة للتعذيب كما هى عنـد غيـرنا !

منطق سليـم !٠

ولكن ليس بالرقص وحده يحيا الانسان ٠٠

هموم الانسان المعاصر ليست كلها جنونا وعربدة ولهوا بريئا وغير برىء ٠٠

والا فما هو الفرق بين الانسان والحيوان فى الغابات ؟

هل الفرق بينهما أن الحيوان « يلهو » على طريقته الخاصة ـ علنا ـ بدون موسيقى واضواء ٠ وان الانسان « يلهو » ـ علنا ـ بموسيقى واضواء خافتة ٠٠ واخبار فى صفحات المجتمع !

لسنا وعاظا ولا نطمح فى التحجر للوصول الى هذه الدرجة ٠٠

ولكننا نطمح ـ على الاقل ـ أن يكون جيلنا جيلا معاصرا بكل معنى المعاصرة ٠٠

نطمح أن يحمل جيلنا مسؤوليـة الحضارة وان يرى كل الازهـار تتفتـح فى حديقة المدينـة . لا أزهـار الجنـس وحـدهـا !

نحن نهتم بالجنس فقط وننسى الموسيقى والادب والمسرح والرسم ٠٠

نهتم باللهو غير البرىء وننسى أن هناك «هوايات» انسانية اخرى غير الجنون فى الستريوهات٠

يقول البعض أن الجيل اللبناني يحب اختصار الطريق ٠٠

فهو يعلم ان الموسيقى والمسرح والادب والرسـم ليسوا غير مقبـلات « للعشاء السرى » أو اطار للوحة الاخيرة الناجحة !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولكـن هـذا منطـق سقيـم !

ان الرجل الذى يذهب الى المسرح لا يذهب لمجرد اصطياد فريسة فى نهاية الحفلة والممثل لا يبدع فى دوره كى يكون صيادا ماهرا أيضا !

هناك اهتمامات انسانية كثيرة يجب أن يدرب الجيل الجديد على الاحساس بها ٠

فجيلنا لم يقلد أوروبا الا فى تهتكها ونسى ان يقلدها فى متاحفها ومسارحها وموسيقاهـا وادبهـا ٠٠

هؤلاء التافهون المخنثون الذين تراهم كل ليلـة يخرجون من (النفسـال) فى الستريوهات بماذا يشبهـون الاجيـال العالميـة ؟

بقصة الشعر ٠٠ والثياب الضيقة فقط !

أما الرؤوس فانها تافهة ، محشوة ، بالقش ، بل بالفراغ !!

ولكـن هـل الجيـل ملـوم فى كل شىء ؟

هل الجيل هو المسؤول عن عدم وجود أوبرا او مسرح أو صالة للموسيقى فى لبنان ؟

ان المرء لتعروه الدهشة حينما يعرف ان مدينة مثل بيروت تسمى نفسها عاصمة الاشعـاع ، وليس فيهـا مسـرح واحـد !

في القاهرة عشرات المسارح .. وفي دمشق مسرحان أو أكثر .. وفي الكويت مسرح .. وفي تونس حركة مسرحية كبرى .. حتى قبرص الجزيرة الصغيرة التي تواجه خطر التقسيم تجد امامها متسعا من الوقت للاهتمام ببناء المسرح وصناعة السينما .

اما في بيروت فان رئيس الوزراء مشغول بتدشين الستريوهات !!

والذي يحز في النفس ويمزقها ان لبنان ليس فقيرا بالامكانيات البشرية القادرة على خلق المســـرح .

انه فقير بالاهتمام فقط ..

ترى متى ينفذ الوعد الذي قطعته الحكومة ببناء مسرح وطني في لبنان ؟

امس كان شكيب خوري الممثل المسرحي الذي تخرج بدرجة ممتازة من الاكاديمية الملكية للتمثيل في لندن يقلب اوراق مفكرة قديمة ..

وفجأة التفت الي وفي عينيه بريق من المرارة :

ـ اقرأ ماذا كتبت هنا ..

كان التاريخ 5 نيسان 1954 .. والمكان باريس وقد كتبت :

ـ صرفنا انا ومنير دبس طوال هذا اليوم في الحديث عن المسرح اللبناني وكيف يجب ان نعمل حين نعود الى الوطن وكيف يجب ان نركز على اقامة بناء المسرح الوطني قبل كل شيء ..

لقد مرت عشر سنوات منذ ان عاد الرجلان من لندن وباريس وما زالا يحلمان مع غيرهما ببناء المسرح الوطني ..

يحلمان بجيل للمسرح لا جيل للستريوهات !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

• مدير اليونسكو العام يحصل على اول دكتوراه فخرية تمنحها جامعة الجزائـــر

سافر السيد رينيه ماهو مدير اليونسكو العـام في ١١ نوفمبر (تشرين الثاني) الماضي الى الجزائر في زيارة رسمية استغرقت خمسة ايام .

وقد أقامت جامعة الجزائر حفلا يوم بدء العام الدراسي الجديد منحت خلاله سيادة المدير العام لليونسكو درجة الدكتوراه الفخرية . وقـد القى السيد رينيه ما هو بهذه المناسبة خطبة قامت اليونسكو بترجمتها الى اللغة العربية

استهل السيد رينيه ماهو كلمته بتحية الحاضرين ، وشكر جامعة الجزائر على منحه الدكتوراه الفخرية ، ثم قال :

« اني لادرك جيدا ، وهذا ما يمس أعماق نفسي بوصفه الحقيقة الجـوهرية في هذه اللفتة ، انكم اذ تخصون باول دكتوراه فخرية من الجامعة الجزائريـة مدير عام منظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة ، فانما تعنـون التعبير على نحو باهر عن استمساك الجزائر الجديدة بقضيـة التعاون الدولي وثقتهـا بالمبادىء التي تقوم عليها، والتعبير فوق كل شيء عن الايمان الذي يستشعره

هذا البلد فى آثار الروح واعمالها باعتبارها مبادىء تقوم عليهـا الحريـة أى الكرامة الانسانية ، وكذلك باعتبارها مبادىء لعدالـة أى للبناء الاجتماعى ، وأخيرا باعتبارها مبادىء للتفاهم ، أى لقيام صرح الاخوة بين الشعوب ٠

اننى أقف اليوم بينكم باسم مؤسسة رسالتهـا هى بالذات المعاونة عـلى تحقيق هذه الروح الجامعة الحقيقية ، وذلـك بالمضى دون تـوقف فى تقويـة الوعى بالتضامن الفكرى والمعنوى وتدعيم جدواه بين افراد الجنس البشرى ٠ اننى اجيئكم شاهدا على سعى المجتمع الدولى نحوكم وحرصه على التعرف على حاجاتكم وأمانيكم، وعلى ادراك مشاكلكم فتكون معاونته لكم على هذه المشاكل افضل واجدى ٠ وثمة أم جئت أقول على وجه التخصيص ٠ ذلك ان العالـم يعرف أن نجاح ما يعنيه ويهمه من جلائل الاعمال متوقف عـلى نجـاح هـذه الجهـــود ٠

هناك وقبل كل شىء جهود تطوير البلاد تطويرا اقتصاديا واجتماعيـا ، فبهما تتألف بقية وجوه التطوير ٠

وثمة أمر لا أدرى لماذا نسدل عليه ستار الصمت ، ذلك أن الجزائر بلـد متخلف ، سواء كان دليل استنباطنا هو متوسط الدخل السنوى أو مقـدار استهلاك الصلب او استخدام الطاقة الكهربائية الى آخـر هـذه الـدلائل ٠ فالجزائر بلد يحتل بين المستويات العالمية درجة خفيضة رغم وجود عـدد من المنشئات الاقتصادية والمعدات الفنية العصرية ٠ وفى نفس الـوقت ترتفـع نسبة كثافة السكان فى الجزائر الى المرتبة الثانية بين نسب العالم ٠

http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهنا ، بازاء هذا الموقف المثير ، يرتسم مجهـود ضخـم ينطـوى على دور جوهرى موكول الى الجامعة ٠ هذا الدور هـو اولا اعـداد القيـادات العليـا اللازمة ، وعلى الاخص قيادات العلم والتكنيك التى تعتمـد عليهـا السيـادة الذاتية فى التطور والتنمية ٠ ولست أجهل ان هذا بدوره يفترض توسعـا عدديا ضخما فى مجال التعليم الابتدائى وتوسيعا فى التعليم الثانوى العام والفنى ٠ ولكن دور الجامعة هو أيضا تنشيط الابحاث العلميـة فى معاهـد التخصص الملحقة بها ، أى قيادتها وتوجيهها على نحـو يضمن الوصـول الى افضل النتائج الممكنة سواء من الموارد الانسانية أو الموارد الطبيعية ٠ ذلك أن على هذا البلد أن يصطنع لمشاكله حلوله الخاصة ٠ ولعله لا يوجد، فى الوقت المباشر ، بين كل هـذه الاعبـاء واجب أكثر الحـاحا من مـذاكرة المشاكـل والطرائق على هدى هذا الموقف الخاص ٠ »

وبعد أن تحدث سيادة مدير اليونسكو العام عن دور الجامعة فى دراسـة حاجات المجتمع والعمل على تطويره ، استطرد قائلا :

« والى اعباء التطوير تنضاف تلـك الواجبـات التى تلتزم بـلاد حصلت حديثا على استقلالها ٠ مشاكل هى الاخرى ذات طابع خاص تتطلب حرصـا

بالغا ، اذ انها لا تتمثل فى قوام موضـوعى بحت كما أن الطابـع الشخصى يؤدى فيها دورا كبيرا ، وعلى ألاخص ابان سنوات الاستقلال الاولى • »

«هنا أيضا تنهض حاجة ماسة الى تشكيل قيادات : قيادات الادارة التى لا غنى عنها لضمان الكفاءة والفعالية فى تسيير أمـور الدولة الناشئة • وهنـا نجد العلوم الاجتماعية ذات أهمية عظمى •

« ولكن هناك فيما هو أبعد من احتياجات الاستقلال هذه التى أستطيع أن أسميها احتياجات تكنولوجية ، ثمة ضرورات اكثر حيوية وهـذه رغم أنهـا أقل خضوعا للتمثل العلمى والنتائج السريعة القابلة للقياس ، فانها ليست أقل جوهرية من الاحتياجات السابقة • بل اننى لاعتبرها أساسا لقيام الباقى وشرطا لنجاحه واعنى بذلك ضرورات الثقافة •

« ان كل استبعاد سياسى انما هو استبعـاد ثقـافى شعـورى أو غيـر شعورى ، مقصود أو عفوى • وكل نضال من أجل الحرية يحتـم ويتضمن ، كتحديد أساسى ، الوعى بالشخصية الثقافية للبلاد • وانه لـمن أجل هـذا تصبح أولى خطوات الاستقلال هى اعادة الثقافـة القومية التى خليت وخلـق ظروف حياة جديدة لهذه الثقافة ، مالكة بعد ذلك زمام أمرها •

«ان مثل هذا العبء ضرورى على نحو خاص فى أمر الجزائر لاسباب معروفة لكل من معنا فى هذه القاعة ، كما أن هذا العبء صعب على نحو خاص أيضا• من أجل هذه الاسباب ، ومع أنه فى مثل هذه الظروف تتحد معظـم قدرات الصفوة بين المثقفين على مـدى فهمهـم وادراكهم لتقاليـد الكتل الشعبيـة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واحتياجاتها وتطلعاتها وعلى تعاونهم معها تعاونا وثيقا مخلصا ، فان جامعتكم لن تستطيع أن تقف بمنأى عما ينبغى أن يكون لهذه البلاد تجيشا عاما نحو الوعى والنهضة ، الا اذا ارادت الجامعـة أن تنسلخ عن الحيـاة وتنسحب من التاريخ • وهنا أيضا أهيب بكم أن تأخذوا الامور فى مجملها والا تقاعسـوا عن العمل والفعل •

« ولكى تكون عملية التوطيد والتحرير الثقافى هذه فى جزء كبير منهـا ، عملية استعادة لماض مهجور مستبعـد ، فريـد بطابعـه العربى ، كتابـة أو مشافهة ، فان أحدا هنا لا يجهـل ذلـك • ان كل واحد منـا يعرف قيمتـه وضرورته • ان هذه الجامعة التى توافرت منذ بدايتها على دراسة الحضـارة المغربية حيث برز عدد من ألمع شخصيات العلوم المغربية ينبغى أن تشـارك اليوم مشاركة نشيطة فعالة فى هذا الموقف الجديد الذى يتجلى فيه منذ الآن أن عنصر الاحداث الجارية هو فى نفس الوقت موضوع تاريخها •

« وبعد هذا وذاك أود أن أبرز الآن ملاحظتين أعلق عليهما أهمية :

« الملاحظة الاولى أن الثقافة ليست فحسب ثقافة الماضى • انما هى أيضا، ومن هذا الماضى على الاخص لو كانت حقا ثقافة حية دفعة من القوة والنشاط

الخلاقين مضطرمة تتلمس آفاقا أخرى · ان الثقافة أصلا هي معايشة قيم منها ينبثق مصير جديد أو عندها نتلمس هذا المصير الجديد · الا فلا تخلطوا اذن بين وعيكم بشخصيتكم القومية واعادتكم بناء وطنكم على أساس من الماضي·

« وملاحظتي الثانية أنه ليس في ماضيكم غير اللغة والثقافة العربية تريدون بهما ، عن حق ، أن تستعيدوا عزتكم وتبتعثوا نشاطكم · ولكن ثمة لغة أخرى متداخلة في نسيجكم التاريخي هي تلك اللغة الفرنسية التي اتحدث اليكم بها الآن فتفهمونني ، ثمة ثقافة اخرى هي هذه التي أجيئكم منها فتعينني على أن الحق بكم في كيان الانسانية العام · وانه لمن الخطل أن تغفلوا أمرها بدعوى أن ما رفدت به قد أقبل في ظروف سياسية هي الان قد زالت · فانما هي في الواقع حصيلة محققة حرية بان تثري واقعكم الثقافي وأن تسبغ عليه اصالة متعددة القوام اذ تفتح امامكم مداخل اخرى ، وعلى الاخص في ميدان الحضارة العلمية والتكنيكية الحديثة ، فضلا عن ثقافة انسانية الطابع هي نتاج خمسة وعشرين قرنا من التاريخ · ان اغفال هذا سوف يكون معناه الرد على انكار جزء من الماضي بانكار جزء من المستقبل ، معناه تشويه يوقع مرة ثانية بشخصية البلاد الثقافية ·

والمع السيد رينيه ماهو الى ضخامة الرسالة التي تقع على عاتق جامعة الجزائر فقال :

« واذ ينهض هذا البلد كالمنار على شطئان الحضارة الانسانية حيث انبثقت انوار الامانات الثلاثة العظمى حاملات الرسالة للانسانية شاملة ، وحيث مولد العلم ومذاهب الفكر والحكمة امتدادا من الفكر الفرنسي الى أرض افريقيا ، وهو الآن هضبة عالية في هذه القارة المحررة في ارض السلام ، عاصمة بلد ناهض بعمل ثوري يهم العالم قاطبة الى أين يتجه والى ماذا ينتهي من أجل هذا كله فان جامعتكم هذه قائمة لتستقبل من كل الافاق ما تأتي به رياح الفكر ومجاري التاريخ ولتصدر أقباسها هي الى كل نواحي الدنيا ومراكز التطور الانساني ·

« وما أدري ابدا من تناقض بين واجباتكم القومية وهذا الدور الدولي ، بل انني لاتبين ، على العكس من ذلك ، وحدة عميقة على نحو ما تنهض تجربة منظمة اليونسكو وكلها دليلا وبرهانا على صدق ذلك · ان هذا عهد أصبح التداخل فيه بين الناس قاعدة تزداد رسوخا ، وان هذا البلد ليحس في الحقيقة تأكيد ذاته باقباله على مواجهة بقية العالم والتداخل معه ، وانه لمستطيع أن يجد ما يبتغي لمشاكله من حلول أصيلة وناجعة بنشدان محمولات العالم الخارجي وقبولها متخيرا في حرص وعناية · »

وهكذا اختتم السيد رينيه ماهو حديثه مهيبا بالجزائر الفتية أن توثق أواصر التعاون مع شعوب العالم قاطبة بغية الوصول الى ما تنشده من تطور ونجاح ·

(آراء اليونسكو)